

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

قسم: العلوم الإنسانية

شعبة: العلوم الإسلامية



جامعة الوادي

كلية: العلوم الإنسانية

و الاجتماعية

الإعجاز العلمي عند محمد الطاهر بن عاشور في التحرير و التنوير

مشروع مذكرة تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة ليسانس في العلوم
الإسلامية - تخصص علوم القرآن و التفسير

المشرف:

غريسي محمد الصالح

من إعداد الطالبات:

تومي مروة

شيباني أمينة

كروش مورية

الموسم الجامعي : 1434هـ/1435هـ - 2013م/2014م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

قسم: العلوم الإنسانية

شعبة: العلوم الإسلامية



جامعة الوادي

كلية: العلوم الإنسانية

و الاجتماعية

الإعجاز العلمي عند محمد الطاهر بن عاشور في التحرير و التنوير

مشروع مذكرة تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة ليسانس في العلوم
الإسلامية - تخصص علوم القرآن و التفسير

المشرف:

غريسي محمد الصالح

من إعداد الطالبات:

تومي مروة

شيباني أمينة

كروش مورية

الموسم الجامعي : 1434هـ/1435هـ - 2013م/2014م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآلَةِ فَالِقَ فِي أَنْفُسِهِمْ تَتَّبِعُونَ لَهُمْ
اللَّهُمَّ قُوِّ لَكُمْ فَبِرَّاهُ بِعَلَى كَلْشِيْ عِشْ هَيْدْ

" وإِنْ كَلَامَ رَبِّ النَّاسِ، حَقِيقٌ بِأَنْ يَخْدُمَ سَحْيَا
عَلَى الرَّأْسِ، وَمَا أَدَى هَذَا الْحَقِّ، إِلَّا قَلَمُ الْمُفَسِّرِ يَسْهُي
عَلَى الْقُرْطَاسِ، وَإِنْ قَلَمِي طَالَمَا اسْتَنْ بِشَوَاطِئِ فُتُوحِ
وَكُم زَجَرَ عِنْدَ الْكِلَالِ وَالْإِعْيَاءِ زَجَرَ الْمَنِيحِ، وَإِذَا قَدْ
أَتَى عَلَى التَّمَامِ فَقَدْ حَقَّ لَهُ أَنْ يَسْتَرِيحَ " .

محمد الطاهر بن عاشور

الملخص:

تناول هذا البحث بيان موقف ابن عاشور من الإعجاز العلمي من خلال الآيات المتضمنة للحقائق الكونية و الإشارات العلمية المذكورة في القرآن الكريم . و ذكرت هذه الدراسة مفهوم الإعجاز العلمي و ضوابطه، مع التفرقة بينه و بين التفسير العلمي و ضوابطه. و لقد تطرق هذا البحث لإجلاء موقف ابن عاشور من الإعجاز العلمي الذي أصله في المقدمة العاشرة و سار عليه في كتابه التحرير و التنوير. وكانت قضية التفسير العلمي و موقف العلماء منه قسم في هذا البحث، مع بيان رأي كل فريق و حجته .كما اختارت هذه الدراسة بعض النماذج المهمة التي تبرز رؤية ابن عاشور حول الإعجاز العلمي، و التي نص فيها على هذه التسمية.

Résumé

Cette recherche a pris en compte l'avis de Ben Achour sur les miracles scientifiques à partir des versets du Coran, qui comprennent les vérités universelles et les signaux scientifiques mentionnés dans le Coran. Cette étude a éclairé qu'est-ce que les miracles scientifiques et quels sont ses principes, aussi, faire la différence entre eux et l'interprétation scientifique et son principe. Un autre point a été illustré dans cette recherche concerne l'opinion de Ben Achour sur les miracles scientifiques, cet point a été fondé dans la dixième introduction et par la suite Achour le suit dans son livre " ELTAHRIR WA ELTANOUIR" . La problématique de l'interprétation scientifique et l'avis des scientifiques font partie de cette étude avec la clarification de l'opinion de chaque groupe et son argument. Cette étude a fait le choix de quelques modèles importants qui marquent la vision de Ben Achour sur "les miracles scientifiques" dont il leur a donné ce nom.

الإهداء

الى من حق فيهما قوله تعالى:

﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾

(الإسراء: 24)

الى الذين ظلوا يرقبون خطوات نجاحتنا . . . الى الذين بدعواتهم عبدوا طريقنا . . .

الى أبائنا وأمهاتنا حفظهم الله وراعاهم

الى سندنا في الحياة . . . الإخوة والأخوات

الى من تربطنا بهم صلة الأرحام . . . الأعمام والعلمات والأخوال والحالات

الى كافة طلبة العلوم الإسلامية . . . وخاصة طلبة تخصص تفسير وعلوم القرآن

الى كافة أساتذة القسم

الى كل هؤلاء نهدي لهم هذا العمل

مروة، أمينة، مومرية

شكرو عرفان

«رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين»

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر الله عز وجل على تسهيل مهمتنا وتيسيرها بعونه تعالى.

ثم نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى المشرف الأستاذ محمد الصالح غريسي.

كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى مباحث الإنارة العلمية أساتذة العلوم الإسلامية حفظهم الله ورعاهم.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من أمدنا بمرجع أو رسالة أو فكرة.

مَرْقُومٌ بِسَرَاتِنَا

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:
إن أفضل ما اشتغل به العلماء و الباحثون كتاب الله عز و جل تدبرا و تفسيراً واستنباطاً... و قد كان من تمام نعم الله وتفضله أن خص نبيها الكريم عليه الصلاة والسلام، بالجمع بين المعجزة و الرسالة في كتاب واحد، فكانت هذه المعجزة معجزة مستمرة و قائمة إلى يوم الدين. كان مما شغل الباحثين و الواعظين، البحث فيما أشار إليه القرآن من معارف و علوم كونية، وقد اصطلح كثير منهم على تسمية ذلك بـ (الإعجاز العلمي)
و إن الكتابة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم غدت ضرورة ملحة، حيث أمرنا الله سبحانه وتعالى بمخاطبة الناس بلسانهم، و باللغة التي يفهمونها...

و لا شك أن التطور العلمي الحديث قد ترك آثاراً على الفكر البشري لا يمكن نكرانها، و فرض نفسه على لغة التخاطب اليومية في مختلف أنحاء المعمورة، و حيث أن الإعجاز في القرآن وسيلة من وسائل الدعوة القوية والمؤثرة في هذا العصر، و أسلوب أخذ من أساليب التبليغ و البيان لدين الله عز وجل، لذا أصبح أمراً مهماً جديراً بالدراسة والبحث.

غير أن الكتابة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يجب أن تكون رصينة تخضع لضوابط معينة تقيها شرور الدخلاء و الملبسين، من ذوي الأهواء و الجهالة المغالين في التفسير المادي لنصوص القرآن الكريم ، أو المفتونين بمقولات الكفار، وتصوراتهم النظرية، التي لا ترقى إلى المسلمات اليقينية، و تضيء الطريق أمام المخطئين، حتى لا تخضع نصوص الكتاب للعلوم كي تفسر بها، ولا تجر العلوم إلى النصوص لتحميلها مالا تحتمله.

ويعتبر ابن عاشور أحد المفسرين المعاصرين الذين اعتبروا الإعجاز العلمي من أهم الموضوعات الحديثة، و ممن أخذوا من هذا الفن باعتدال دون مجافاة أو غلو، و ذلك من خلال المقدمة الرابعة التي ذكر فيها التفسير العلمي، و المقدمة العاشرة التي خصصها للإعجاز، وكذا ما تضمنه تفسيره التحرير و التنوير.

و انطلاقاً من ذلك كان البحث المقدم بعنوان: الإعجاز العلمي عند الطاهر بن عاشور
في التحرير و التنوير.

✓ أهمية الموضوع:

- 1- تدور أهمية هذه الدراسة حول بيان موقف ابن عاشور من الإعجاز العلمي وإبرازها كتطبيق حول الآيات المتضمنة حقائق علمية في القرآن الكريم.
- 2- كما تكمن أهمية هذه الدراسة في شرف علوم القرآن، و علو مرتبته، و علو منزلته، فأحببنا أن ننال حظاً من هذا الفن و التخصص فيه.
- 3- إثراء المكتبة الإسلامية بمثل هذا الموضوع، و خاصة قلة الدراسات و البحوث العلمية المفردة له.
- 4- إضافة إلى مكانة الإمام ابن عاشور العلمية فقد شُهد له في تقدمه في هذا الفن ورسوخ قدمه فيه.

✓ سبب اختيار الموضوع:

- 1- صلته بالقرآن الكريم و شرف العلم يكون من شرف المعلوم، و غير خاف أن من أشرف المعلومات ما يبين و يظهر فضل كتاب الله تعالى على غيره.
- 2- محاولة الاستفادة من جهود عالمٍ يشهد له بالفضل و سعة العلوم.
- 3- توضيح إسهامات محمد الطاهر بن عاشور في هذا العلم، إذ أن الإمام الطاهر بن عاشور يعتبر أن الإعجاز العلمي أحد أوجه إعجاز القرآن.
- 4- تقوية ملكة التدبر، و الفهم لآيات القرآن الكريم، و الوقوف على جانبٍ من جوانب إعجازها.

✓ الأهداف:

- 1- الاستفادة و الإفادة من جهود ابن عاشور حول هذا الموضوع.
- 2- توضيح إسهامات ابن عاشور في هذا الموضوع، و بيان موقفه منه.
- 3- تقوية ملكة التدبر، و الفهم لآيات القرآن الكريم، و الوقوف على جانبٍ من جوانب إعجازها.
- 4- الوقوف على كلام ابن عاشور في هذا الموضوع الهام .

✓ الدراسات السابقة:

- 1- الإعجاز العلمي إلى أين؟ مساعد طيار
- 2- مقدمات التحرير و التنوير دراسة تحليلية نقدية، محمد الصالح غريسي.
- 3- التفسير و الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرهف عبد الجبار السقا.
- 4- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات و التطبيق، هند شلبي

✓ الإشكالية:

- 1- من خلال ما اعتبره ابن عاشور حول الإعجاز العلمي في تفسيره وما ذكره في المقدمتين الرابعة و العاشرة فما هي جهوده و إسهاماته حول الإعجاز العلمي ؟
- 2- ما هو الإعجاز العلمي؟ وما الفرق بينه وبين التفسير العلمي؟
- 3- وما هو موقف الطاهر بن عاشور منه من خلال التحرير و التنوير؟

✓ المنهجية المتبعة في البحث

- وقد اتبعنا في إعداد هذا البحث الطريقة الآتية:
- عزو الآيات الكريمة إلى مواضعها في السور.
 - تخريج الأحاديث الواردة في ثنايا البحث .
 - الترجمة للأعلام غير المشهورين الواردة التي يحتاج إلى بيانها.
 - الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
 - وضع الفهارس العلمية المساعدة.

✓ الصعوبات:

مما لا شك فيه أننا إثناء إعدادنا لهذا الموضوع قد واجهتنا بعض الصعوبات و لكوننا قد تناولنا موضوعا معاصراً لدى علم معاصر، فكانت الصعوبة المؤثرة ندرة المادة العلمية، والتي كادت تثنيينا عن العمل، إلا أن الفضل يعود لله أولاً ، ثم لأستاذنا الفاضل المشرف محمد الصالح غريسي - حفظه الله- الذي طالما رغبنا فيه و شجعنا عليه رغم انشغاله وكثرة التزاماته إلا أنه لم يبخل علينا في نصائحه و توجيهاته فجزاه الله عنا كل خير.

✓ خطة البحث

جعلنا البحث في مقدمة و أربعة فصول و خاتمة

المقدمة

وتشتمل على: الافتتاحية، و أسباب البحث و الدراسات السابقة، و خطة البحث، و منهج البحث.

الفصل التمهيدي: التعريف بابن عاشور و كتابه التحرير و التنوير

المبحث الأول: التعريف بالطاهر ابن عاشور

المطلب الأول: حياته الشخصية

الفرع الأول: ابن عاشور نسبه و مولده

الفرع الثاني: أسرته

الفرع الثالث: عقيدته و مذهبه الفقهي

الفرع الرابع: وفاته

المطلب الثاني: حياته العلمية

الفرع الأول: حياته العلمية و وظائفه

الفرع الثاني: تلاميذه و شيوخه

الفرع الثالث: مكانته العلمية و ثناء العلماء عليه

الفرع الرابع: مؤلفاته المطبوعة و المخطوطة

المبحث الثاني: التعريف بالتحرير و التنوير

المطلب الأول: وصف الكتاب

الفرع الأول: اسم الكتاب

الفرع الثاني: مناسبة التأليف

المطلب الثاني: القيمة العلمية للكتاب

الفصل الأول: نظرية الإعجاز عند ابن عاشور

المبحث الأول: تعريف إعجاز القرآن - لغة - اصطلاحا

المبحث الثاني: وجوه الإعجاز عند ابن عاشور

المبحث الثالث: موقف ابن عاشور من الصرفة

المبحث الرابع: القدر المعجز

الفصل الثاني : الإعجاز العلمي هدفه و موقف ابن عاشور منه

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز العلمي و ضوابطه

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز العلمي

الفرع الأول: تعريف الإعجاز – لغة – اصطلاحا

الفرع الثاني: تعريف العلم -لغة -اصطلاحا

المطلب الثاني: ضوابط الإعجاز العلمي

المبحث الثاني:الهدف من الإعجاز العلمي

المبحث الثالث: موقف ابن من الإعجاز العلمي

المطلب الأول: طرق الإعجاز عند ابن عاشور

المطلب الثاني: مصطلح الإعجاز عند ابن عاشور

المبحث الرابع: التفسير العلمي و موقف ابن عاشور منه

المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي

الفرع الأول: تعريف التفسير -لغة – اصطلاحا

المطلب الثاني: شروط التفسير العلمي

المطلب الثالث: الفرق بين الإعجاز العلمي و التفسير العلمي

المطلب الرابع: موقف ابن عاشور من التفسير العلمي

الفرع 1: المثبتون للتفسير العلمي مطلقا

الفرع2: المعارضون مطلقا

الفرع3: المثبتون المعتدلون

الفصل الثالث: الإعجاز العلمي في الآيات الكونية عند الطاهر بن عاشور

المبحث الأول: الإعجاز العلمي في آيات خلق السماوات و الأرض

المطلب الأول: الأصل في خلق السماوات و الأرض(الرثق و الفتق)

المطلب الثاني: خلق السماوات و الأرض

المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في خلق الكائنات الحية عند الطاهر بن عاشور

المطلب الأول: خلق الإنسان

المطلب الثاني: ألبان الأنعام

المبحث الثالث: الإعجاز العلمي في آيات البحار و الجبال عند ابن عاشور

المطلب الأول: خلق البحار و الأنهار

المطلب الثاني: خلق الجبال

المبحث الرابع: الإعجاز العلمي في الظواهر الجوية و الآيات الكونية

المطلب الأول: الضغط الجوي

المطلب الثاني: الليل و النهار

الخاتمة: و فيها ملخص البحث و أهم نتائجه

الفهارس:

- فهرس الآيات
- فهرس الاحاديث
- فهرس الأعلام
- قائمة المصادر و المراجع
- فهرس الموضوعات

الفصل التمهيدي

التعريف بالطاهر بن عاشور و كتابه التحرير والتنوير

المبحث الأول: ترجمة ابن عاشور

المطلب الأول: حياته الشخصية

المطلب الثاني: حياته العلمية

المبحث الثاني: التعريف بالتحرير و التنوير

المطلب الأول: وصف الكتاب

المطلب الثاني: القيمة العلمية للكتاب

مدخل

تتبيء صفحات التحرير و التنوير منذ وائله عن شخصية تشد الإنتباه و تغري بالبحث عن نشأتها و تكوينها العلمي، و ولم تبخل المصادر المختلفة بالمعلومات التي تصل الباحثين بهذه الشخصية خصوصاً أنها من الشخصيات العامة التي كان لها دورها في مختلف مناحي الفكر العلمي و الحضارة في تونس، كما تمددت شهرتها و ذاع صيتها في أقطار مختلف العالم الإسلامي كمصر وسوريا و غيرها من الدول نتيجة لرحلاته العلمية و صدى للأبحاث التي كان يقدمها ابن عاشور في مختلف الدوريات العلمية في هذه البلاد، تُعد دراسة سيرة الإمام طريقاً من طرق الفهم عنه و باباً من أبواب العلم يفتح آفاقاً جديدة من أفق المعرفة؛ وذلك عن طريق التعرف على الموسوعة الضخمة في تفسير القرآن الكريم تفسيره - التحرير و التنوير - وهو من أشهر كتبه و أكبرها، فمن خلال هذا الفصل سنميط اللثام عن تلك السيرة لتكون مدخلاً لدراسة تراثه الزاخر بالعلم والمعرفة.

المبحث الأول: ترجمة ابن عاشور

المطلب الأول: حياته الشخصية

الفرع الأول: ابن عاشور نسبه و مولده

هو محمد الطاهر الثاني بن الشيخ محمد بن محمد الطاهر الأول بن محمد بن الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ثم التونسي و أمه: فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتور، إذ كان عاشور الجد الأعلى لعائلة ابن عاشور أندلسي الأصل شريف النسب¹.
فأسرة آل عاشور تنتمي إلى أصل أندلسي، وقد تميز أفرادها في الأنشطة العلمية والدينية في التدريس والإشراف على المساجد، واشتهرت بالفضل والعلم.
وُلِد العلامة: محمد الطاهر ابن عاشور بالمرسى، وهي ضاحية جميلة من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية، تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وتبعد عشرين كيلو متراً عن مدينة تونس، وكانت ولادته بقصر جدّه لأمه الشيخ محمد العزيز بوعتور² عام (1296هـ / 1879م)³.

¹ محمد الحبيب ابن خوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، (ط:1؛ تونس:الدار العربية للكتاب، 2008م)، ص147.

² الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بوعتور (1240هـ-1325هـ)، ونشأ تحت رعاية والده الشيخ محمد الحبيب، وتلقى العلم على كبار من الأساتذة كمحمد ابن الخوجه ومحمد الطاهر ابن عاشور، فبرع في العلم والأدب، وآلت إليه المناصب الوزارية والمهام السامية، فحقق الكثير من الإصلاحات في البلاد. (انظر: بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، ص:40-42). و(انظر: محمدالخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، ص 89). و(انظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 3، ص 355 وما بعدها).

³ بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور - حياته و آثاره، (ط:1؛ بيروت- لبنان: دار ابن حزم، 1417هـ- 1996م)، ص37.

الفرع الثاني: أسرته

انحدر محمد الطاهر بن عاشور من أسرته نشطت في أداء رسالتها و الإشراف وعلى الزوايا ذات التوجيه القويم، وهذه الأسرة اختص أفرادها من الأنشطة العلمية و الدينية في التدريس و الإشراف على المساجد، و اشتهرت بالعلم و الفضل في تونس وتجاوزت شهرتها إلى العالمين العربي و الإسلامي¹.

وذلك أن جد مترجمنا محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد ابن عاشور الذي ولد بتونس (1230هـ) كان من كبار علماء عصره، حيث طلب العلم بجامع الزيتونة، و تولى فيها التدريس، ثم ولي القضاء ثم الإفتاء. و أسندت إليه الكثير من المهام.

وكان له العديد من الآثار: كالحاشية على القطر، و حاشية لابن سعيد الاشموني²، وشرحا على بردة البصري... توفي يوم الاثنين، الحادي عشر من ذي الحجة سنة 1284هـ³.

و جد مترجمنا لأمه الشيخ محمد العزيز بوعتور (1825/1907م)، ينحدر من ذرية الشيخ عبد الكافي بوعتور العثماني من سلالة الخليفة الثالث عثمان بن عفان، التحق بالزيتونة سنة 1839م، فأخذ عن أعلامه الكبار منهم ابن عاشور برع في كثير من العلوم، و شغل عدة مناصب في الدولة⁴. وقد تدعمت الصلة وتمتنت بين الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (الجد) و تلميذه محمد العزيز بوعتور تتج عنها زيجة شرعية لابنه الثاني على ابن الأول⁵.

¹ علي الرضا الحسيني، مقالات الامام: محمد الطاهر ابن عاشور، (ط:1؛ لا.م، الدار الحسينية للكتاب، د.ت)، ص8.

² الأشموني (838 - نحو 900 هـ = 1435 - نحو 1495 م) هو علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني: نحوي، من فقهاء الشافعية. أصله من أشمون (بمصر) ومولده بالقاهرة. ولي القضاة بدمياط. وصنف «شرح ألفية ابن مالك - ط» في النحو، و «نظم المنهاج» في الفقه، و «شرحه» و «نظم جمع الجوامع» و «نظم إيساغوجي» في المنطق، انظر ترجمته في (معجم المؤلفين 7/ 212)، و(الأعلام 5/ 10)، و(شذرات الذهب 8/ 165)، و(الكواكب السائرة 1/ 284) و(هدية العارفين 1/ 739).

³ بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الاعظم محمد الطاهر بن عاشور، (ط:1؛ بيروت: دار ابن حزم ، 1417هـ - 1996م)، ص37.

⁴ محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين؛ ج3 (ط:2؛ لا.م: دار الغرب الإسلامي، 1994م)، ص355.

⁵ بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الاعظم محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص36. بالتصرف

الفرع الثالث: عقيدته و مذهبه الفقهي

مذهبه العقدي: لا ريب أن ابن عاشور أشعري العقيدة على وجه العموم، ويتضح ذلك جلياً من طريقتين:

الطريقة الأولى: تصريحه بذلك.

الطريقة الثانية: تقريره لمذهب الأشاعرة و ترجيحه له عند عرض المذاهب في المسألة.

ومع التصريح الجلي من ابن عاشور بانتسابه إلى المذهب الاشعري فهو يخالف الأشاعرة أحياناً في تقرير بعض المسائل فيأخذ بمذهب السلف أو مذهب المعتزلة¹.

مذهبه الفقهي: تشرّب ابن عاشور المذهب المالكي منذ صغره تعلم كتب الفقه المالكي حتى صار مفتياً عاماً مالكياً ثم كبير أهل الشورى المالكية ثم شيخ الاسلام للمذهب المالكي. ومع هذا كله لم يكن متعصباً لمذهب المالكية، بل كان ينظر في الأقوال كلها، فينقد ويرجح، و يختار ما يراه موافقاً للدليل و ان خالف المذهب المالكي².

الفرع الرابع: وفاته

أفنى الشيخ – رحمه الله – عمراً مديداً قضاه مابين البحث والتدريس، والعلم والتأليف، توفي رحمه الله يوم الأحد 13 رجب سنة 1393 هـ الموافق الثاني عشر من أغسطس عام 1973م عن عمر يقارب سبعاً و تسعين عاماً، بعد حياة حافلة بالجد والنشاط والإفادة والتأليف وموت مثل هؤلاء موت لأجسامهم فقط، أما آثارهم فباقية يتداولها الناس ويتدارسونها أهل الذكر والفكر.³

¹ محمد بن حسين بن سعيد العمري، منهج ابن عاشور في أصول الاعتقاد دراسة و تقويماً، (رسالة ماجستير أصول الاعتقاد)، مخطوط- جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض، بواسطة: محمد بن سعد القرني، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، منهجه في تفسير القراءات من خلال تفسيره التحرير و التنوير، (رسالة ماجستير قسم الكتاب و السنة)، كلية الدعوة و أصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1427هـ، ص53-54.

² بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص149.

³ المرجع نفسه، ص 68.

المطلب الثاني: حياته العلمية

الفرع الأول: حياته العلمية و وظائفه

نشأ ابن عاشور في أسرة علمية عريقة تلقى علومه في تونس، فحفظ القرآن منذ صغره بمسجد سيدي أبي حديد، ثم حفظ مجموعة من المتون العلمية التي تهيئ للطلاب إلى التعليم بجامع الزيتونة، كمتن ابن عاشور و الأجرومية وغيرها¹.

و في سنة (1310هـ/1892م) التحق الشاب محمد الطاهر بن عاشور بجامع الزيتونة² لطلب العلم، و كانت المواد التي تدرس بهذا المعهد متنوعة بين مقاصد و وسائل³. وعلى هذا الأساس درس علم النحو، الصرف، البلاغة، المنطق، علم الكلام، الفقه، الفرائض، أصول الفقه، الحديث، السيرة و التاريخ⁴.

و المتأمل في ثقافة ابن عاشور من خلال مؤلفاته يلحظ ثقافة شرعية و لغوية وفلسفية وإلماما بشتى العلوم التي تضمنها القرآن الكريم. و كذا معرفة بالأديان و الملل و النحل فضلا عن فنون الحكمة.

و لقد تأصلت هذه العوامل الثقافية في نفسه فكان على اطلاع واسع و حفظ جيد و فهم عميق و غوص على الحقائق و الدقائق... ودامت دراسته بجامع الزيتونة سبع سنوات انتهت بإحرازه على شهادة التطويع سنة (1317هـ/1899م)⁵.

و لما امتلأ علما و اشتد نظره فهما أقبل على التدريس بالجامع الأعظم سنة 1320هـ.

¹ بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص37.

² وينسب تأسيس الجامع إلى حسان بن النعمان الغساني فاتح تونس وقرطاج في حدود سنة 699م، وهناك من ذهب إلى أن تأسيسه تم في عهد عبد الله بن الحبحاب، كما تم توسيع الجامع في عهد زيادة بن الأغلب، وهذه الاختلافات التاريخية متعلقة بتحديد أزمنة التطورات التوسيعية التي شهدتها الجامع في عهوده الأولى، ولهذا الجامع تجربة تعليمية ثرية عريقة، ومحاولات الإصلاح التربوية والتعليمية للمؤسسة متكررة ومتعددة، للاستزادة انظر: جامع الزيتونة حصن للتنوير والتحرير، من الأهرام العربي، مجلة المجاهد، تصدر عن المكتب الإعلامي المركزي لحركة الجهاد الإسلامي، غزة، م12، العدد104، 2000م، ص9.

³ محمد الحبيب بن خوجة، سلسلة الذاكرة الحية، شيخ الاسلام الاكبر محمد الطاهر بن عاشور، (لا.ط: تونس: الدار العربية للكتاب، 2008)، ج1، ص148.

⁴ بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص38 بالتصرف.

⁵ المرجع نفسه، ص39.

- انتدب للتدريس بالمدرسة الصادقية سنة (1321هـ/1904م)¹.
- عُين عضواً في هيئة إدارة الجمعية الخلدونية سنة 1905م.
- عُين نائباً للدولة لدى الهيئة المشرفة على التعليم الزيتوني و المسئلة النظارة العلمية و عضواً بمجلس النظارة سنة 1909م.
- عُين عضواً بمجلس الأوقاف الأعلى سنة 1911م.
- شغل خطة القضاء المالكي من سنة 1913م إلى سنة 1623م.
- عُين مفتياً مالكياً بالمجلس الشرعي سنة 1924م².
- عُين بمسؤولية إدارة التعليم الزيتوني بعنوان شيخ الإسلام المالكي سنة (1351هـ/1932م)، وفي سنة (1364هـ/1944م) سمي شيخ الزيتونة وفروعه.
- و في المرتين اللتين تولى فيهما مشيخة الزيتونة أدخل إصلاحات مهمة على نظام التعليم³.
- أُختير الشيخ - رحمه الله - عضواً في المجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1950م بصفة مراسل، و في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1955م، كما شارك في الموسوعة الفقهية الكويتية، و شارك في مؤتمر المستشرقين في استانبول 1951م⁴.

¹ المرجع السابق، ص 58.

² علي الرضا الحسني، مقالات الإمام: محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 17.

³ محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ص 305، بالتصرف.

⁴ انظر دائرة المعارف التونسية، ص 41-43 بالتصرف . وانظر: جمال محمود ابو حسان، "الإمام محمد الطاهر بن عاشور (سيرة و مواقف)"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، الأردن، ل.ن، العدد: 2/أ، 1430 هـ-2009م، ص 7.

الفرع الثاني: تلاميذه و شيوخه

أولاً: شيوخه

تلقى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور العلم بفروعه المختلفة على عدد كبير من الأساتذة الأجلاء، والعلماء الفضلاء¹، من أشهرهم مايلي:

1. شيخ المشايخ الشيخ سالم بوحاجب.

2. جده الوزير محمد بوعتور.

3. محمد الصالح الشريف.

4. الشيخ محمد بن الشيخ.

5. محمد بن خوجه.

6. محمد الخلي.²

ثانياً: تلاميذه

تولى العلامة الطاهر ابن عاشور التدريس في جامع الزيتونة مدة طويلة من الزمان وكذا في المدرسة الصادقية، ومن هنا فقد تتلمذ على الشيخ ابن عاشور عدد كبير، وجم غفير، وصار هؤلاء أبرز أعلام النهضة العلمية والدينية في تونس³، ومنهم:

1. أبناء الشيخ الطاهر ابن عاشور.

2. عبد الحميد ابن باديس.

3. محمد الصادق الشطي.

4. زين العابدين بن حسين.

5. محمد بن خليفة المدني.

6. أبو حسان بن شعبان.

¹ حبيب بن خوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 149 وما بعدها، و انظر:

بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص40-46.

² انظر: بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص36-43.

³ انظر: المرجع السابق، ص63.

وهناك العديد من تلاميذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، مما يصعب حصرهم في هذا المقام.¹

الفرع الثالث: مكانته العلمية و ثناء العلماء عليه

لقد كان العلامة محمد الطاهر ابن عاشور - رحمه الله - علماً بارزاً من أعلام الفكر العربي الإسلامي، وممن تبوأ مكانة عالية مرموقة، وقدم إصلاحات عظيمة، وأثرى المكتبة الإسلامية والساحة الفكرية بمؤلفاته القيمة العظيمة، ومن هنا توالى الإشادة والتتويه بأعماله العظيمة، وجهوده القيمة في حياته وبعد وفاته، وهاك بعض أقوال علماء عصره في الثناء عليه من أقرانه وتلاميذه.

ومما قال عنه الشيخ: محمد البشير الإبراهيمي²: "الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره ... فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية. تخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي".³

يقول الأستاذ محمد الطاهر الميساوي - حفظه الله - في مقدمة كتاب مقاصد الشريعة لابن عاشور: (ومن ثم فلا غرابة أن جاءت هذه السيرة وارفة الأفنان، متنوعة العطاء، دانية القطوف، وكأنما أنت في حضرة مجمع من العلماء ضم في صعيد واحد: اللغوي، والأديب، والمفسر، والمحدث، والأصولي، والفقيه، والمربي، والمؤرخ، والفيلسوف، والمنطقي، بل وحتى العالم بأمور الطب).⁴

¹ محمد بن سعد بن عبد الله القرني، الإمام محمد الطاهر بن عاشور و منهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير و التنوير، مرجع سابق، ص 15-16.

² محمد البشير الإبراهيمي: (1306- 1385هـ / 1889-1965) محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، مجاهد جزائريمن كبار العلماء، انتخب رئيساً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولد ونشأ بدائرة تفقه وتأدب في رحلة إلى المشرق سنة 1911 وكان من أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، وكان ينشر مقالاته في جريدة البصائر، بالجزائر وهو رئيس تحريرها، فجمعت المقالات في كتاب (عيون البصائر).، (الأعلام: ج2/54).

³ محمد بن سعد بن عبد الله القرني، الإمام محمد الطاهر بن عاشور و منهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير و التنوير، (رسالة ماجستير في الكتاب و السنة)، جامعة أم القرى، السعودية، 1427هـ، ص19.

⁴ محمد بن ابراهيم الحمد، التقريب لتفسير التحرير و التنوير، ص154.

و قال فيه شيخ الأزهر العلامة المحقق قرينه في الدراسة محمد الخضر حسين¹:
(وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف غزارة العلم، وقوة النظر، صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب العربية... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاعة أخلاقه، وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم).²

وقال عنه الشيخ محمد الحبيب ابن خوجة³: (وهو نمط فريد من الشيوخ لم نعرف مثله بين معاصريه او طلابه او من كان ف درجتهم من اهل العلم. إذ كان انكبابه على الدرس متميزا، و اشتغاله بالمطالعة غير منقطع، مع عناية دائمة مستمرة بالتدوين و الكتابة، وتقديم ما يحتاج إليه الناس من معارف و علوم، و أذواق و آداب و ملاحظات، و تأملات فلا بدع إذا طرأت جهوده و استمر عطاؤه في مختلف الدرس و الثقافة في حقول المعرفة الدينية والشرعية، و في الدراسات اللغوية و الأدبية، و في معالجة اوضاع التعليم بالزيتونة والعمل على إصلاحها، مع ذبه عن الإسلام أصوله و آدابه، و تطلعه كل يوم الى مزيد من المعرفة

¹ محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي : (1293-1377هـ / 1876-1956م)، عالم إسلامي، أديب وباحث، يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولوا مشيخة الأزهر، ولد في نفطة- من بلاد تونس- وتخرج بجامع الزيتونة ودرس فيه، وأنشأ مجلة (السعادة العظمى) سنة 1321 هـ، وولي قضاء بنزرت (1321) واستغفى وعاد إلى التدريس بالزيتونة سنة 1324هـ وعمل في لجنة تنظيم المكتبتين العبدلية والزيتونة، ولما احتل الفرنسيون سورية انتقل إلى القاهرة 1922، وعمل مصححا في دار الكتب خمس سنوات، ترأس تحرير مجلة (نور الإسلام) الأزهرية، ومجلة (لواء الإسلام) ثم كان من هيئة كبار العلماء وعُين شيخا للأزهر أواخر 1371 واستقال 1373 وتوفي بالقاهرة، ودفن بوصية منه في تربة صديقة أحمد تيمور (باشا)، وكان هادئ الطبع وقورا، خص قسما كبيرا من وقته لمقاومة الاستعمار، وانتخب رئيسا لجبهة الدفاع عن شمال إفريقية في مصر، وله تأليف، منها: (حياة اللغة العربية) و (بلاغة القرآن) و (تونس وجامع الزيتونة) و غيرها، (الزركلي: الأعلام: ج2/ 113-114).

² محمد الحبيب ابن خوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، ج1، (ط:1؛ تونس:الدار العربية للكتاب، 2008م)، ص163.

³ الحبيب بن خوجة : تلقى العلم على يد الشيخ الطاهر، ولزمه وحضر دروسه التي كان يعقدها في بيته بعد صلاة التراويح في رمضان، وقد تقلد جملة من المناصب التي تقلدها ابن عاشور من قبل مثل: عمادة الكلية الزيتونية، ومنصب الإفتاء في تونس، ثم شغل منصب الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، وله مجموعة من المؤلفات والمقالات المتعلقة بدراسة الجوانب اللغوية والبيانية في التحرير والتنوير (ت: 1325هـ)، انظر: مشرف الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، (ط:1؛ بيروت: مؤسسة الريان للنشر و التوزيع، 1430هـ - 2009م)، ص 27.

بكل ما يمكن أن يقع تحت يده من كتب فريدة و مخطوطات و مصنفات في شتى العلوم و الفنون).¹

هذا ومن قبيل الثناء على الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ما نظم فيه أصدقائه وأحبابه من عيون الشعر، مشيدين بفضلهم ومكانتهم، وبهذا صدق الشعر النثر في تصوير المكانة الرفيعة، المرموقة للشيخ: محمد الطاهر ابن عاشور، قال الشاعر: أحمد المختار الوزير:

بشرى لأهل العلم قــــد وجدوا الهداية من هداك
قأً عد لمعهدنا العتيـــــ د شعاع نور من ضياك
إنا و في الأرواح آ مال السمو إلى علاك
نسعى لتحقيق الكما ل ولا كمال سوى رضاك

تلك هي شخصية الشيخ ابن عاشور رحمه الله، وهي من الشخصيات العظيمة التي أبلت بلاء حسداً في خدمة الإسلام والمسلمين، وإنارة الفكر والعقل الإسلامي، وقدمت جهوداً عظيمة في ميادين شتى، وآفاق واسعة لا تنسى على مدار الزمان.²

الفرع الرابع: مؤلفاته المطبوعة و المخطوطة

خلف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عدداً كبيراً من المؤلفات، في مختلف نواحي العلم والمعرفة في الحديث والتفسير واللغة والنحو والبلاغة والأدب والدراسات الإسلامية عموماً، والتاريخ وغير ذلك، وهذه المؤلفات تنبئ عن عظيم مكانته في العلم ورفعة شأنه، وقد بلغت هذه المؤلفات حوالي أربعين تأليفاً وتحقيقاً، منها المطبوعة والمخطوطة.

أولاً: مؤلفاته في علم التفسير

- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (مطبوع) .

ثانياً: مؤلفاته في الحديث النبوي الشريف

- تعليقات وتحقيق على حديث أم زرع (مخطوط) .

- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح (مطبوع) .

¹ محمد بن سعد بن عبد الله القرني، الإمام محمد الطاهر ابن عاشور و منهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير و التنوير، مرجع سابق، ص21.

² المرجع السابق، ص22.

- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ (مطبوع) .

ثالثاً: مؤلفاته في الفقه والأصول

- آراء اجتهادية (مخطوط) .

- الآمالي على مختصر خليل (مخطوط) .

- حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب (التنقيح على شرح تنقيح الفصول في

الأصول) للقرافي (مطبوع) .

- الفتاوى (مخطوط) .

- قضايا وأحكام فقهية (مخطوط) .

- مقاصد الشريعة الإسلامية (مطبوع) .

رابعاً : مؤلفاته في الدراسات الإسلامية¹

- أصول التقدم في الإسلام (مخطوط) .

- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام (مطبوع) .

- أليس الصبح بقريب : التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية

(مطبوع) .

- تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة (مطبوع) .

خامساً : مؤلفاته في اللغة والأدب

- أصول الإنشاء والخطابة (مطبوع) .

- الآمالي على دلائل الإعجاز للجرجاني (مخطوط) .

- تحقيق لشرح الورشي على ديوان المتنبي (مخطوط) .

- تحقيق وتعليق وتعليق على كتاب الإقتضاب في شرح أدب الكاتب لابن السيد

البطلوسي (مخطوط) .

- تحقيق وتعليق على كتاب خلف الأحمر المعروف بمقدمة في النحو (مطبوع) .

- تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لجالينوس للطبيب ابن زهر (مخطوط) .

- التعليق على المطول بحاشية السيالكوتي (مخطوط) .

¹ انظر: بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 64.

- جمع وشرح ديوان سسحيم عبد بني الحساس (مخطوط) .
- ديوان بشار بن برد شرح وتحقيق (مطبوع) .
- ديوان النابغة الذبياني (مطبوع) .
- سيرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي (مطبوع) .
- شرح ديوان حماسة (مخطوط) .
- شرح معلقة امرئ القيس (مخطوط) .
- شرح المقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام (مطبوع) ¹.

سادسا: مؤلفاته في التاريخ والتراجم

- تراجم بعض الأعلام (مخطوط) .
- قصة المولد النبوي الشريف (مطبوع) .
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لأبي نصر الفتح ابن خاقان (تحقيق) (مطبوع) .
- كتاب تاريخ العرب (مخطوط) .

سابعا: الشيخ ابن عاشور في الدوريات

للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور العديد من المقالات في كثير من المجالات والدوريات ففي تونس نشرت مقالاته في الصحف والمجلات مثل: السعادة العظمى، النهضة، الزهر، الوزير، العصر الجديد، العمل، الصباح، الهداية الإسلامية التونسية². تلك هي شخصية الجامع الأعظم و فروعه، وهي شخصية رحبة الآفاق متعددة الجوانب، من الذين زانوا هذا القرن بالفكر النير فأعطوا عطاء، خصبا و قدّموا جهودا إصلاحية جمّة حمت البلاد من الغزو الثقافي الذي كان يهدد الأمة، كما أثرى الساحة الفكرية بآثاره فحرّك السواكن و حفز الهمم و دفعها إلى التجديد و كان بمؤلفاته معينا لا ينضب جلبت للزيتونة و للمغرب العربي كل التقدير و أظهرت بجلاء مدى ما تجود به هذه

¹ المرجع السابق، ص 66.

² انظر: جمال محمود ابو حسان، "الإمام محمد الطاهر بن عاشور (سيرة و مواقف)"، مرجع سابق، ص18.

الأرض من عبقریات إسلامية ذات إنتاج علمي و ادبي مشهود لها بالريادة و التفوق في شتى المجالات.¹

¹ بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم، محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 71.

المبحث الثاني: التعريف بالتحرير و التنوير

خَلَّفَ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عددًا كبيرًا من المؤلفات، في مختلف نواحي العلم والمعرفة، في الحديث، والتفسير، واللغة وآدابها والدراسات الإسلامية عمومًا، والتاريخ وغير ذلك، وهذه المؤلفات تنبئ عن عظيم مكانته في العلم ورفعة شأنه، وكان من مؤلفاته تفسيره "التحرير و التنوير" وقد فسّر فيه القرآن كاملاً من سورة الفاتحة الى سورة الناس.

المطلب الأول: وصف الكتاب

الفرع الأول: اسم الكتاب

يُعد تفسير التحرير والتنوير من أهم انجازات الشيخ وأعظمها، فقد فسّر فيه القرآن تفسيراً تاماً من سورة الفاتحة إلى سورة الناس وعنوانه باختصار "التحرير والتنوير" وهو مختصر من عنوان طويل.

قال ابن عاشور – رحمه الله – " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد" ¹.

وعنوانه قبل الاختصار: "تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد"؛ وهو عنوان ينبئ على التعريف بالكتاب كما يريده صاحبه. وربما كان في العنوان المطول إشارة إلى مقاصد المؤلف في التفسير إلى مضمون الكتاب وأسلوبه، في ثلاث جمل يكمل بعضها بعضاً:

فاللفظ: "تحرير المعنى السديد" يشير إلى أن صاحب الكتاب سلك مسلك التحقيق والتدقيق لا النقل ومجرد التردد لما يقوله المتقدم عنه .

ولفظ: "تنوير العقل الجديد" يتناول مقصد الكتاب، وهو مقصد إصلاحي يتناسب وضرورات العصر ومقتضياته، وإن كان موضوعه ومسلكه تراثياً.

¹ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج1، (لا.ط؛ تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ)، ص09.

و"تفسير الكتاب المجيد" هو موضوع الكتاب، تفسير للقرآن كله، من فاتحته إلى خاتمته.¹

الفرع الثاني: مناسبة التأليف

لم يصرح ابن عاشور عن سبب تأليفه لكتابه -التحرير و التنوير- لكنه ذكر في تمهيد تفسيره أن تأليف كتاب تفسير مجرد أمنية تراوده من حين لآخره فقال:

"..فقد كان أكبر أمنيّتي من أمد بعيد تفسير الكتاب المجيد... فبقيت أسوف النفس مرة و مرة أسومها زجراً، فإن رأيت منها تصميماً أحلتها على فرصة أخرى، و أنا آمل أن يمنح من التيسير ما شجع على قصد هذا الغرض العسير و وفيما أنا بين إقدام وإحجام، إذا أنا بألمي قد خيل إليّ أنّه تباعد أو انقضى، إذ قدّر أن تسند إليّ خطّة القضاء، فبقيت متلهّفاً ولات حين مناص، وأضمرت تحقيق هاته الأمنية متى أجمل الله الخلاص، وكنت أحادث بذلك الأصحاب والإخوان، وأضرب المثل بأبي الوليد ابن رشد في كتاب البيان، ولم أزل كلمّاً مضت مدة يزداد التمني وأرجو إنجازَه، إلى أن أوْشك أن تمضي عليه مدة الحياة، فإذا الله قد منّ بالنقلة إلى خطة الفتيا، وطُبحت الهمة مصروفةً إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا، فتحوّل إلى الرجاء ذلك اليأس، وطمعتُ أن أكون ممن أوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس، هنالك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته، واستعنت بالله تعالى واستخرته، وعلمت أن ما يهول من توقع كل أو غلط، لا ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط، إذا بذلت الوسع من الاجتهاد، وتوخيت طرق الصواب والسداد".²

اعترض على المؤلف بعض قدماء تلامذته بأنّه تشبّه بقاضي قرطبة مع الفرق بين حالهما؛ إذ أن ذلك القاضي ابن رشد تقلّدها بإلحاح بعد الشروع في تأليفه الفقهي وفارقها فرحاً وهي تندب حظّها بخلاف قاضي تونس - ابن عاشور - فإنه حنّ إليها ولم يقعد به عن تسنّمها إلى ذلك الوقت إلاّ صغر سنه؛ لأنّ ولاية الشبّان في أمثالها مغضوب عليها في ذاك

¹ غريسي محمد الصالح، مقدمات التحرير و التنوير للعلامة محمد الطاهر بن عاشور-دراسة تحليلية نقدية- (مذكرة ماجستير، في تخصص التفسير و علوم القرآن)، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1428هـ - 1429هـ/2007م- 2008م، ص03.

² التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص 6.

الزمان؛ وتولاها قبل الشروع في تفسيره وامتلاً بها سرورا ثم فارقتها مستوحشا أسفا؛ فكيف يصح هذا التشبيه؟.

فردُّ على هذا القول: أن هذا النقد الشديد غير سديد إذ لا يشترط التساوي بين المشبَّه والمشبَّه به من جميع الجهات؛ وإلاَّ لم يصح تشبيه الآدمي بالأسد أو بالبحر؛ لأنَّ ابن عاشور كان يسعى سعيا حثيثا في إصلاح المحكمة الشرعية لشدة تدمره من إجراءاتها وبطئها وسوء تراتيبها وقلة الضبط واستيلاء الإهمال والإهمال حتى صرَّح بأنه يتمنى خطة كبرى فيها ليتوجه لإصلاحها من جميع جوانبها¹.

الفرع الثالث: مدة التأليف

فرغ شيخنا من كتابة، ختمه بجمل لطيفة و كلمات رقيقة فقال - رحمه الله - و إن كلام رب الناس، حقيق بأن يخدم سعيا على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم مفسر يسعى على القرطاس، و إنَّ قلبي إستن² بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر المنيح³، وإذ قد أتى على التمام فقد حق له أن يستريح.

وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وألف، فكانت مدة تأليفه تسعاً و ثلاثين سنة و ستة أشهر، وهي حقبة لم تخل من أشغال صارفة، و مؤلفات أخرى أفنانها⁴ ورافة⁵، ومنازع بقريحة شاربة طورا، و طورا غارف، و ما خلال ذلك من تشتت بال، و تطور أحوال، مما لم تخل عن الشكاية منه الأجيال، ولا كفران لله، فإن نعمه أوفى، و مكاييل فضله عليَّ لا تطفَّف و لا تكفا. و أرجوا منه -تعالى-

¹ محمد الصالح غريسي، مقدمات التحرير و التنوير دراسة تحليلية نقدية، مرجع سابق، ص4.

² يقال "تستن الرجل" و "إستن" إذا مضى على وجهه، و إستن الفرس في مضماره جرى في نشاط. (اللسان، لابن منظور، 813/7، تاج العروس للزبيدي، 299/35).

³ المنيح سهم من سهام الميسر الأربعة التي ليس لها غنم و لا عليها غرم، والمعنى أنه كان يزجر قلمه كما يُزجر هذا السهم الغُفل عن الخروج.

⁴ الأفنان: جمع فَنَن و هو الغصن، انظر: (اللسان، ابن منظور، 911/7)، وانظر: (تاج العروس، الزبيدي، 516/35).

⁵ يُقال: "ورف الظل" إذا امتد و طال، و "ورف النبات و الشجر" تنعم و اهتز و رأيت لخضرته بهجة من ربه و نعمته. (اللسان، ابن منظور، 745/5). (تاج العروس، الزبيدي، 457/24).

لهذا التفسير أن ينجد و يغور¹ و أن ينفع به الخاص و الجمهور، و يجعلني به من الذين يريدون تجارة لن تبور، و كان تمامه بمنزلي ببلد المرسى شرقيّ مدينة تونس، و كتبه: محمد الطاهر ابن عاشور².

المطلب الثاني: القيمة العلمية

يُعد تفسير التحرير و التنوير من أهم الأعمال العلمية الإسلامية، لا على مستوى تونس و الشمال الإفريقي فحسب، بل و على مستوى العالمين العربي و الإسلامي، فقد إنتهت إلى الشيخ الرئاسة العلمية في شمال إفريقيا ممثلة في الجامعة الزيتونية³، لذلك يعد ثمرة إنتاج ضخمة و تجارب متعددة اكتسبها الشيخ الطاهر ابن عاشور من مشايخه الكثر.

قد شمل تفسيره معظم التفاسير التي سبقت، وقد ذكر في تمهيده أهمها في نظره فقال: "... وإن أهم التفاسير تفسير الكشاف، والمحزر الوجيز لابن عطية، ومفاتيح الغيب لفجر الدين الرازي ..."⁴.

فمن أولويات اهتمامه، اللغة وأسرار التراكيب وخاصة ما يتعلق منها بالنظم وإعجاز القرآن التي تحدى الله بها أمة الفصاحة والبيان قال عنه منيع عبد الحليم محمود: "... لقد اهتم ابن عاشور في تفسيره ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتم أيضا ببيان اتصال الآي بعضها ببعض و هو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"⁵.

و قد أشار ابن عاشور بأن تفسيره لم يكن تكراراً لسابقه، بل ذكر فيه ما لم يذكره فقال معللاً ذلك: "و قد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه و ما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون، و إنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من

¹ كناية عن انتشاره و بلوغه الآفاق مهما بعدت، و النجد ما ارتفع من الأرض، (مختار الصحاح، للرازي، ص427)، وغور كل شئ قعره، (انظر: المختار لرازي، ص322).

² التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج30، ص636.

³ محمد الصالح المستاوي، القيمة العلمية لتفسير الإمام العلامة محمد الطاهر بن عاشور، مجلة البلاغ، العدد: 740، 1984م، ص48.

⁴ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج1، ص7.

⁵ منيع بن عبد الحليم محمود، مناهج المفسرين. ج1، (ط:1؛ مصر: دار الكتاب، 1421هـ - 2000م)، ص336.

التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تستظهره و قد تقدمك إليه متفهم".¹

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج1، ص 7-8.

خلاصة الفصل التمهيدي

- ابن عاشور عالم مجدد مصلح يشهد له علو قدره ورفعة مكانته.
- فكره التجديدي و جهده الإصلاحى ساهم في ازدهار العلوم و توسع جامع الزيتونة.
- يعتبر التحرير و التنوير تراثا علميا ضخما في التفسير.
- التحرير و التنوير كتاب ينحو منحى البلاغة و اللغة.

الفصل الأول

نظرية الإعجاز عند ابن عاشور

المبحث الأول: تعريف إعجاز القرآن

المبحث الثاني: وجوه الإعجاز عند ابن عاشور

المبحث الثالث: موقف ابن عاشور من الصرفة

المبحث الرابع: القدر المعجز

مدخل

عالج ابن عاشور جهات الإعجاز القرآني و مواده و كفياته و مراتبه في موضع خاص هو المقدمة العاشرة من مقدمات تفسيره ثم طبق ما أجمله و نافح عنه في ثنايا تفسيره فهذا الصنيع من ابن عاشور أقرب ما يكون إلى روح المنظّر الذي يجمع عصارة فكر المتقدمين و يغربلها و يضيف عليها ثم يحشد في تفسيره ما يؤكد هذه النظرية و يبين عن تقاسيمها و يعمق مضمونها و يشهد لتفاصيلها و إذا كان النظر في إعجاز القرآن و تطبيقه في تفسير القرآن بهذه المنزلة عند ابن عاشور فلذلك يعطي نظرية الإعجاز أهمية خاصة إذ أنه لم يكن مجرد عارض لهذه النظرية فحسب، و لا مطبق لفكرة الإعجاز في التفسير على تفسيره و إنما جمع بين الأمرين.

اتجه ابن عاشور في تفسيره التحرير و التنوير إلى الكشف عن إعجاز القرآن الكريم والذي يعد من أحد مقاصد القرآن، و قد كانت قضايا الإعجاز في صوره البيانية و العلمية هدفاً يسعى التفسير إلى بيانه واستجلاء حقيقته.

و اهتم ابن عاشور بإعجاز القرآن من جهة نظمه و بلاغة اهتماماً عظيماً ، بحيث يعتبر أنه أكثر من فصل في جوانب بلاغته الكريمة في كتابه التحرير و التنوير.

المبحث الأول: تعريف إعجاز القرآن

عنى ابن عاشور عناية كبيرة بقضية الإعجاز في تفسيره، فهو يعدّه أحد مقاصد القرآن الأساسية التي يجب على المفسر استجلاء حقيقتها؛ و كشف معالمها، ذلك أن المعجزة القرآنية المشاهدة للعيان؛ باقية على صفحات الدهر و الأزمان.

فالإعجاز في اللغة: "مشتق من العجز، و العجز: الضعف أو عدم القدرة"¹، و منه الرجل العجوز و المرأة العجوز و هما اللذان وصلا مرحلة الشيخوخة² و الإعجاز مصدر أعجز : و هو بمعنى الفوت و السبق.³

والإعجاز في الاصطلاح: له عدة تعاريف منها ما عرفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: إنما الإعجاز شيئان:

1. ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، و مزاولته على شدة الإنسان و إتصال عنايته.

2. ثم تراخي هذا الضعف الى تراخي الزمن و تقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت.⁴

أما في منظور ابن عاشور فقد عرفه بقوله: "تفوق القرآن على كل كلام بليغ بما توفر فيه من الخصائص التي لا تجتمع في كلام آخر للبلغاء حتى عجز السابقون واللاحقون منهم عن الإتيان بمثله"، وعرفّه في مكان آخر من هذه المقدمة بما قاله: "هو بلوغ القرآن في درجات البلاغة والفصاحة مبلغا تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله"⁵.

فالإعجاز القرآني عند ابن عاشور خاص في المقام الأول بالبلاغة والفصاحة اللتين منحنا البيان القرآني تفوقا واستمرارية، وكان عجز بلغاء العرب عن مجاراته دليلا كافيا على ثبوته، ثم كان العجز من العرب اللاحقين ظاهرا وأكيدا لكونهم أضعف بيانا، وأقل

¹ ابن منظور، لسان العرب. (ط:1؛ بيروت: دار صادر، د.ت)، ج5، ص369.

² المرجع نفسه - بتصرف-

³ انظر: المرجع السابق، ج5، ص370.

⁴ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، (لا.ط؛ بيروت: المكتبة العصرية، 1426هـ - 2005م)، ص 117.

⁵ محمد الصالح غريسي، مقدمات التحرير و التنوير - دراسة تحليلية نقدية -، مرجع سابق، ص 172.

بضاعة من أسلافهم في امتلاك الحجة والبيان. ولكن ابن عاشور لا ينكر أنواع الإعجاز الأخرى وخاصة الإعجاز العلمي؛ كما سيأتي بيانه.

والربط بين البلاغة والإعجاز له ما يسوغه في كلام ابن عاشور ودارسي الإعجاز القدماء؛ لأنه مجال التحدي في رأيهم؛ ولكن الإعجاز بالمفهوم الحديث يشمل جوانب أخرى كثيرة، فهو يُفهم في كل عصر بما يناسب عقول البشر وقدراتهم وطرائق تفكيرهم، ولعلّ هذا الذي يشير إليه سيد قطب في قوله: "الإعجاز في القرآن ليس هو إعجاز اللفظ وأسلوب الأداء وحده، ولكنه الإعجاز المطلق الذي يلمسه الخبراء في هذا الشأن، وفي النظم والتشريعات والنفسيات وما إليها، والذين زاولوا فن التعبير والذين لهم بصير بالأداء الفني يدركون أكثر من غيرهم مدى ما في الأداء القرآني من إعجاز، والذين زاولوا التفكير الاجتماعي والقانوني والنفسي والإنساني صفة عامة، يُدركون أكثر من غيرهم مدى الإعجاز الموضوعي في هذا الكتاب".¹

وقد أشار ابن عاشور إلى استمرارية الإعجاز القرآني وبقائه في الأزمان المختلفة ليدرك الناس منه القدر الذي يفي بحاجاتهم العقلية والنفسية والاجتماعية فقال: "إنّ انتشار إعجازه وعمومه في المجامع والآفاق والأزمان المختلفة، بحيث لا يختص بإدراك إعجازه فريق خاص في زمن خاص شأن المعجزات المشهودة مثل عصا موسى، وناقة صالح، وبرء الأكمه، فهو معجزة باقية والمعجزات الأخرى معجزات زائلة".²

فخلاصة المبحث قرر ابن عاشور أن الإعجاز كامن في ذاته وهو من جهة نظمه و أساليبه وبلاغته.³

و قد جاء التحدي الصريح في آيات تشير إلى هذا الإعجاز كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا

لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ

إِنْ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ العنكبوت/50-51.

¹ سيد قطب، ضلال القرآن، ج3 (ط:11؛ بيروت: دار الشروق، 1405هـ-1985م)، ص 1785-1786.

² محمد الصالح غريسي، مقدمات التحرير و التنوير دراسة تحليلية نقدية، مرجع سابق، ص331-332.

³ المرجع نفسه، ص333.

وقد أشار ابن عاشور في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾¹ وما بعده إلى خمس

مزايا للقرآن على غيره من المعجزات.¹

المزية الأولى: ما أشار إليه قوله يتلى عليهم من انتشار إعجازه وعمومه، في المجامع والآفاق والأزمان المختلفة، بحيث لا يختص بإدراك إعجازه فريق خاص في زمن خاص، شأن المعجزات المشهودة مثل عصا موسى وناقطة صالح وبرء الأكمه، فهو يتلى، ومن ضمن تلاوته الآيات التي تحدت الناس بمعارضته، وسجلت عليهم عجزهم عن المعارضة من قبل محاولتهم إياها، فكان كما قال فهو معجزة باقية والمعجزات الأخرى معجزات زائلة.

المزية الثانية: كونه مما يتلى، فإن ذلك أرفع من كون المعجزات الأخرى أحوالا مرئية، لأن إدراك المتلو إدراك عقلي فكري، وهو أعلى من المدركات الحسية، فكانت معجزة القرآن أليق بما يستقبل من عصور العلم التي تهيأت إليها الإنسانية.

المزية الثالثة: ما أشار إليه قوله: إن في ذلك لرحمة، فإنها واردة مورد التعليل للتعجب من عدم اكتفائهم بالكتاب، وفي التعليل تتميم لما اقتضاه التعبير بالكتاب و يتلى عليهم، فالإشارة بذلك إلى الكتاب ليستحضر بصفاته كلها، وللتنويه به بما تقتضيه الإشارة من التعظيم، وتنكير (رحمة) للتعظيم، أي لا يقادر قدرها. فالكتاب المتلو مشتمل على ما هو رحمة لهم اشتمال الظرف على المظروف لأنه يشتمل على إقامة الشريعة وهي رحمة وصالح للناس في دنياهم، فالقرآن مع كونه معجزة دالة على صدق الرسول ﷺ ومرشدة إلى تصديقه مثل غيره من المعجزات وهو أيضا وسيلة علم وتشريع وآداب للمتلو عليهم وبذلك فضل غيره من المعجزات التي لا تفيد إلا تصديق الرسول الآتي بها.

المزية الرابعة: ما أشار إليه قوله: وذكرى فإن القرآن مشتمل على مواعظ ونذر وتعريف بعواقب الأعمال، وإعداد إلى الحياة الثانية، ونحو ذلك مما هو تذكير بما في تذكره خير الدارين، وبذلك فضل غيره من المعجزات الصامتة التي لا تفيد أزيد من كون الآتية على يديه صادقا.

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج21، ص 15.

المزية الخامسة: أن كون القرآن كتابا متلوا مستطاعا إدراك خصائصه لكل عربي، ولكل من حذق العربية من غير العرب مثل أئمة العربية، يبعده عن مشابهة نفثات السحرة والطلاسم، فلا يستطيع طاعن أن يزعم أنه تخیلات¹.

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج21، ص15-16.

المبحث الثاني: وجوه الإعجاز عند ابن عاشور

إن الكلام قد كثر في وجوه الإعجاز بحيث لا تكاد تجد مؤلفاً إلا و يسعى لإضافة جديد في الموضوع فكثرت لذلك وجوه الإعجاز، و إنها لحري بها أن تكثر لأنها جزء من حديث عن هذا القرآن الذي " لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد"¹ ويرى ابن عاشور أن ملاك وجوه الإعجاز راجعة إلى ثلاث جهات، ثم أضاف رابعة مجارة لغيره من العلماء وهذه الجهات هي:²

الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه تفيد معاني دقيقة، ونكتا من أغراضه الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيد أصل وضع اللغة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم و خطبائهم.

الثانية: ما أبدعه القرآن من أساليب التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا عند العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون في إعجاز القرآن من علمائنا مثل أبي بكر الباقلاني³ والقاضي عياض⁴.

الرابعة: ما انطوى عليه من الإخبار عن المغيبات، مما يدل على أنه منزل من علام الغيوب، وما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب.

¹خرجه: الترمذي، في سننه، ضعيف سنن الترمذي. محمد ناصر الدين الألباني، (ط:1؛ بيروت: المكتب الإسلامي، 1411هـ - 1991م)، هو جزء من حديث ضعيف رواه الترمذي في باب فضائل قارئ القرآن، ص 348.

²التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 104.

³هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري القاضي أبو بكر الباقلاني المتكلم الأشعري سكن بغداد وتوفي بها سنة 403 هـ ، من تصانيفه إعجاز القرآن، الإنتصار، كشف الأسرار الباطنية، الملل والنحل، مناقب الأنمة، نهاية الإيجاز في رواية الإعجاز، هداية المسترشدين في الكلام، (انظر: هدية العارفين، ج 4، ص 474).

⁴القاضي عياض: عياض بن موسى بن عياض بن عمر ابن موسى القاضي أبو الفضل اليحصبي البستي المراكشي المحدث المالكي ولد سنة 476 وتوفي بمراكش سنة 544، من تصانيفه الأجوبة المخيرة عن الأسئلة المحيرة، أخبار القرطبيين، الأعلام في حدود الأحكام، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، الألماع في ضبط الرواية وتقييد السماع، بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد غنية في أسماء الشيوخ، كتاب العقيدة، مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار الموطأ والصحيحين في الحديث، مشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث، (انظر: هدية العارفين، ج 1، ص 426).

ذكر ابن عاشور أن الإعجاز من الجهتين الأولى والثانية متوجه إلى العرب؛ إذ هو معجز لفصحائهم وخطبائهم وشعرائهم مباشرة، ومعجز لعامتهم بواسطة إدراكهم أن عجز مقارعيه عن معارضته مع توفر الدواعي عليه هو برهان ساطع على أنه تجاوز طاقة جميعهم. ثم هو بذلك دليل على صدق المنزل عليه لدى بقية البشر الذين بلغ إليهم صدى عجز العرب بلوغاً لا يُستطاع إنكاره لمعاصريه بتواتر الأخبار، ولمن جاء بعدهم بشواهد التاريخ، فإعجازه للعرب الحاضرين دليل تفصيلي، وإعجازه لغيرهم دليل إجمالي.

والقرآن معجز من الجهة الثالثة للبشر قاطبة إعجازاً مستمراً على مر العصور، وهذا من جملة ما شمله قول أئمة الدين: إن القرآن هو المعجزة المستمرة على تعاقب السنين. وهو من الجهة الرابعة- عند الذين اعتبروها زائدة على الجهات الثلاث- معجز لأهل عصر نزوله إعجازاً تفصيلياً، ومعجز لمن يجيء بعدهم ممن يبلغه ذلك بسبب تواتر نقل القرآن.¹

ثم قال: "إن هذا هو ملاك الإعجاز بحسب ما انتهى إليه استقراءنا إجمالاً ولناخذ في شيء من تفصيل ذلك وتمثيله".²

وما تحدث عنه في تفصيله للجهة الأولى من جهات الإعجاز القرآني هو كون الجهة الأولى خاصة ببلاغة القرآن الكريم ونظمه وتصرفه في المعاني، مما كان يعرفه العرب في كلامهم وأساليبهم، لكن عند النظر والمقارنة بين القرآن وكلام العرب ظهر للدارسين من أمثال أبي بكر الباقلاني والجرجاني³ وغيرهم تفوق الأسلوب القرآني وسموه على كلام العرب، فقد استخدم القرآن أساليب العرب وطرائقهم في التعبير، وعبر عن معاني كانت العرب تعرف بعضها، ولكن حصلت له طرق في النظم فاق بها تلك المعاني والأغراض التي يعرفها الخواص من البلغاء، وهذه الجهة من الإعجاز هي التي شغل بها علماء البلاغة قديماً؛ فكتبوا في تحليلها والكشف عنها أبحاثاً ومؤلفات جليلة، كان من أشهرها كتاباً "دلائل

¹ جمال محمود أحمد أبو حسان، تفسير ابن عاشور التحرير و التنوير -دراسة منهجية نقدية-، مرجع سابق، ص 135.

² التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 106.

³ الجرجاني: هو إمام الحرم الصادق ابو عبد الله الجرجاني نزيل همذان، توفي 257هـ، كان أحد العلماء و الفقهاء ، اشهر مؤلفاته دلائل الإعجاز، (انظر: سير أعلام النبلاء، ج 12، ص 181)

الإعجاز"، و"أسرار البلاغة" لشيخ البلاغيين وصاحب نظرية النظم عبد القاهر الجرجاني¹.

و أما الجهة الثانية فقال أولاً أنها مغفولة من علم البلاغة. فالقرآن بهيكلة العام يخالف ما عليه العرب من الخطابة و الشعر و النثر، فقد خالف أسلوبه أساليب العرب في نظمه بكونه جامعاً بين مقصدين، مقصد الموعظة و مقصد التشريع².

و الجهة الثالثة من الإعجاز؛ فتتعلق بحقائق القرآن وإشارات العلمة الواردة في الآيات والسور، والتي فهمت في زمن نزول القرآن، وفي عصور أخرى متعاقبة، ومع تقادم الزمن مازالت تلك الحقائق والإشارات غضةً طريّةً تشهد للقرآن بالخلود والصلاحية، ويرى ابن عاشور أن المتكلمين في إعجاز القرآن من أمثال الباقلاني والقاضي عياض قد أغفلوا هذه الجهة أيضاً³.

أما الجهة الرابعة من وجوه الإعجاز الخاصة بالإخبار عن المغيبات وأنباء الأمم السابقة؛ فلم يحفل بها ابن عاشور كثيراً، واقتفى فيها أثر من سبقه من العلماء، وقد أشار إلى كونها من الدلائل والحجج على نزول القرآن من عند الله، على الرغم من مساحتها القليلة في القرآن، وأنها بعيدة عن نظمه، ودلالة فصاحته وبلاغته على المعاني العليا، والسبب في ذلك أن ابن عاشور - كما ذكر في السابق - يرى الإعجاز كامناً بالدرجة الأولى في بلاغة القرآن وفصاحته، اللتين تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثلهما⁴.

¹ ابن عيسى بطاهر، قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، مجلة التجديد، السنة السادسة، العدد الحادي عشر، نقلاً عن: مقدمات التحرير و التنوير - دراسة تحليلية نقدية -، مرجع سابق، ص8.

² جمال أبو حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير - دراسة منهجية ونقدية -، مرجع سابق، ص136.

³ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج1، ص104.

⁴ محمد الصالح غريسي، مقدمات التحرير و التنوير - دراسة تحليلية نقدية -، مرجع سابق، ص11.

المبحث الثالث: موقف ابن عاشور من الصرفة

نقض ابن عاشور قول أهل الصرفة فقال: "و قد اختلف العلماء في تعليل عجزهم عن ذلك فذهبت طائفة قليلة إلى تعليله بأن الله صرفهم عن معارضة القرآن فسلبهم المقدرة أو سلبهم الداعي لتقوم الحجة عليهم بمرأى و مسمع من جميع العرب. و يعرف هذا القول بالصرفة كما في المواقف للعضد¹ و المقاصد للتفتازاني²: (و لعلها بفتح الصاد و سكون الراء و هي مرة من الصرف و صيغ بصيغة المرة للإشارة إلى أنها صرف خاص فصارت كالعلم بالغلبة) و لم ينسبوا هذا القول إلا إلى الأشعري فيما حكاه أبو الفضل عياض في الشفاء³ و إلى النظام و الشريف المرتضى و أبي إسحاق الاسفرائيني في ما حكاه عنهم عضد الدين في المواقف و هو قول ابن حزم⁴ صرح به في كتاب الفصل،⁵ وقد عزاه صاحب المقاصد في شرحه إلى كثير من المعتزلة .

و أما عليه جمهرة أهل العلم و التحقيق و إقتصر عليه أئمة الأشعرية و إمام الحرمين⁶ و عليه الجاحظ و أهل العربية كما في المواقف فالتعليل لعجز المتحدين به بأنه بلوغ القرآن في درجات البلاغة و الفصاحة مبعاً تعجز قدرة بلغاء العرب على الإتيان بمثله فرأى ابن عاشور أن الإعجاز في القرآن هو من جهة نظمه وبلاغته.⁷

¹ عضد الدين الإيجي، المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (ط:1؛ بيروت: دار الجيل، 1997م).

² سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح المقاصد، (لا.ط؛ الهند: مطبعة محرم أفندي، 1917).

³ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: علي محمد البنجاوي، ج1، (لا.ط؛ بيروت: دار الكتاب العربي، 1404هـ - 1984م)

⁴ على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبومحمد. عالم الأندلس في عصر ولد بقرطبة توفي في بادية سنة 456 هجرية وله في الفقه كتاب المحلى وفي الأصول الأحكام، (تراجم موجزة للأعلام، ج1، ص 124).

⁵ ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل و النحل، تحقيق: عبد الرحمن عمير، (لا.ط؛ بيروت: دار الجيل، د.ت).

⁶ عبد الملك بن محمد الله بن يوسف بن محمد الجويني إمام الحرمين من أصحاب الشافعي ولد في جوين وله مصنفات كثيرة من أشهرها (البرهان) في أصول الفقه وتوفي بنيسابور سنة 478 هجرية، (انظر: تراجم موجزة للأعلام، ج1، ص 24).

⁷ محمد الصالح غريسي، مقدمات التحرير و التنوير دراسة تحليلية نقدية، مرجع سابق، ص 172.

المبحث الرابع: القدر المعجز

اختلف العلماء في القدر المعجز قديما و حديثا ذهب طائفة منهم أن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لا ببعضه¹ و ذهب آخرون إلى أن القدر المعجز منه القليل و الكثير دون تقييد بالسورة² لقوله تعالى في سورة الطور ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ الطور/24، وذهب آخرون إلى أن الإعجاز يتعلق بالسورة و لو قصيرة³ وهذا الذي عليه أكثر العلماء و تبناه ابن عاشور في المقدمة العاشرة بقوله: "إنما وقع التحدي بسورة و إن كانت قصيرة دون أن يتحداهم بعدد الآيات"⁴.

وقوله "إن آيات القرآن زهاء ستة آلاف آية و مقدار كل ثلاث آيات مقدار معجز فيحصل من القرآن مقدار ألفي معجزة و ذلك لم يحصل لأحد من رسل الله"⁵.

فيرى أن من: "أفانين البلاغة ما مرجعه إلى مجموع نظم الكلام، وصوغه بسبب الغرض الذي سيق فيه من فواتح الكلام وخواتمه، وانتقال الأغراض، والرجوع إلى الغرض، وفنون الفصل والإيجاز والإطناب والاستطراد والاعتراض، وقد جعله آخرون هو الوجه لإيقاع التحدي بسورة دون أن يجعل بعدد من الآيات"⁶. سالك بذلك مسلك الجاحظ⁷ الذي يرى أن التحدي يكون بالسورة و ليس بحرف أو حرفين⁸.

و ذهب عبد الفتاح الخالدي⁹ برأي يخالف رأي ابن عاشور و غيره و ذلك بقوله الإعجاز في النوع و ليس في المقدار لان الروح العامة التي تسري نصوص القرآن كلها،

¹ قول المعتزلة و أن كل سورة برأسها فهي معجزة. و منهم من اشترط الآية بقدر السورة بل اشترط الآيات الكثيرة. للمزيد انظر (إعجاز القرآن للباقلاني، ص261-264).

² وهذا مذهب الأشاعرة و قولهم أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة القصيرة أو الطويلة أو ما كان بقدرها. انظر (إعجاز القرآن للباقلاني، ص264).

³ مناع القطان ص241، مباحث في علوم القرآن (ط: لا؛ القاهرة: مكتبة وهبة، دبت)، ص256.

⁴ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج1، ص104.

⁵ المرجع نفسه، ج12، ص14.

⁶ المرجع نفسه، ج1، ص104.

⁷ الجاحظ العلامة المتبحر، ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، له كتاب "الحيوان"، وأضاف إليه كتاب "النساء"، وكتاب "البعال" وقد أضيف إليه كتاب سموه كتاب "الجمال". (انظر: سير الأعلام للزركلي، ج11، ص526)

⁸ الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط: لا؛ القاهرة: مكتبة الخانجي، 1384هـ/1964م)، ج3229.

⁹ صلاح عبد الفتاح الخالدي: و لد 1947 بفلسطين استاذ التفسير و علوم القرآن بكلية اصول الدين جامعة البلقاء. اهم مؤلفاته: الاعجاز البياني و دلائل مصدره الرباني. (انظر: الموسوعة التاريخية الرسمية، جماعة الإخوان المسلمين)

وتوجد في السور الطويلة و القصيرة و في كلماته أيضا و حروفه و كل ما في القرآن الكريم¹.

1 مناع القطان، البيان في إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص93.

خلاصة الفصل الأول

- 1- أوجه الإعجاز عند ابن عاشور تتمثل في: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ و ما أبدعه القرآن من أساليب التصرف في نظم الكلام و ما أودع فيه من المعاني الحكيمة و الإشارات إلى حقائق عقلية و علمية و ما انطوى عليه من الإخبار عن المغيبات .
- 2- ينكر ابن عاشور على القائلين بالصرف و يرى أن الإعجاز يكون من ناحية نظمه و بلاغته.
- 3- و يعتبر ابن عاشور أن القدر المعجز من القرآن معلق بالسورة و لو قصيرة.

الفصل الثاني

الإعجاز العلمي هدفه و موقف ابن عاشور منه

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز العلمي و ضوابطه

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز العلمي

المطلب الثاني: ضوابط الإعجاز العلمي

المبحث الثاني: الهدف من الإعجاز العلمي

المبحث الثالث: موقف ابن من الإعجاز العلمي

المطلب الأول: طرق الإعجاز عند ابن عاشور

المطلب الثاني: مصطلح الإعجاز عند ابن عاشور

المبحث الرابع: التفسير العلمي و موقف ابن عاشور منه

المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي

المطلب الثاني: شروط التفسير العلمي

المطلب الثالث: الفرق بين الإعجاز العلمي و التفسير العلمي

المطلب الرابع: موقف ابن عاشور من التفسير العلمي

مدخل

بَيّن ابن عاشور موقفه من الإعجاز العلمي في المقدمة العاشرة من مقدمات تفسيره بحيث طبق فيه ما أصله في تلك المقدمة عند عرضه للآيات المتضمنة للإشارات والألفاظ العلمية و صرح على تلك التسمية عندها.

و سلك ابن عاشور في الأخذ بالتفسير العلمي المسلك الراشد حيث اخذ باعتدال و أنكر على المجافين عنه كالشاطبي، و لم يكن من المغالين كالطنطاوي جوهرى و وضع له شروطا و ضوابط على المفسر التقيد بها و الوقوف عندها و هذا ما يتلمسه الناظر في تفسيره ليجد ابن عاشور قد التزم بتلك الشروط

فإصطلاح الإعجاز العلمي مصطلح مستحدث و شائع في العصر الحديث، و يعتبره علماء التفسير نوعا من انواع اعجاز القران فيما ينكره آخريين و ذهب كل فريق بأدلته وحججه.

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز العلمي و ضوابطه

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز العلمي

قد سبق لنا تعريف الإعجاز لغة و اصطلاحاً في الفصل الأول.¹

تعريف العلم:

المقصود بالعلمي: نسبة إلى العلم؛ و العلم: " هو إدراك الأشياء على حقائقها، أو هو صيغة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً " ²، و المقصود بالعلم في هذا المقام: العلم التجريبي (الكوني).

الإعجاز العلمي: " هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، وهذا مما يظهر صدق الرسول ﷺ فيما أخبر به عن ربه سبحانه. ³

تعريف الإعجاز العلمي: هو الجهة الثالثة من الإعجاز وهي ما أودعه من المعالم الحكيمة و الاشارات العلمية.

و المتأمل في تعريف ابن عاشور و الزنداني ⁴ يلحظ أن التعريف الأول اوسع من التعريف الثاني فالإعجاز العلمي عند ابن عاشور يشمل النظريات والإشارات العلمية التجريبية، كتلك التي نجدها في علوم الفلك والطب والفيزياء وغيرها، ويتجاوزها إلى التاريخ والمنطق والحقائق العقديّة، والدعوة إلى النظر والاستدلال وكل ما ينطوي تحت مفهوم العلم الذي بمعرفته يكون كمال الإنسان، و لذلك امتاز هذا النوع من الإعجاز في القرآن بكونه قريباً من إدراك الإنسان مهما كانت ثقافته ولغته، ولكن جانباً منه يدرك بمعرفة قواعد العلوم، وهذا الذي يعرفه أهل الاختصاص في كل فنٍ وعلم و حسب تطور

¹ انظر: ص 16 من المذكرة.

² الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي؛ (ط:1، دمشق: دار القلم، 1412 هـ)، ج1، 580

³ عبد المجيد الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي، (<http://www.jameataleman.org>)، لا.ت، ص5.

⁴ الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني، و لد 1942 في قرية الظهبي في مديرية الشعر من محافظة اب إحدى محافظات الجمهورية اليمنية، مفكر اسلامي و دعوي معروف، اسس الهيئة العالمية للإعجاز في القرآن و السنة. <http://shamela.ws>.

العلوم، وفي العصور المختلفة ينبج للناس شيئاً فشيئاً من هذا الإعجاز انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهم.¹

وإذا كان دليل الإعجاز العلمي صدور هذه الحقائق والإشارات إلى العلوم من رجل أُمي لم يعالج أهله دقائق العلوم، فإن هذا النوع من الإعجاز في القرآن هو أبرز وجوه الإعجاز في العصر الحديث و أصبح متفوقاً على وجوه الإعجاز الأخرى بسبب التقدم العلمي المذهل، و انبهار الناس و ميلهم إلى هذا النوع من العلوم التجريبية.²

المطلب الثاني: ضوابط الإعجاز العلمي

إن المراد بهذه الضوابط تلك التي تحدد مسار بحوث الإعجاز العلمي وفق الأصول الشرعية المقررة مع الالتزام بالجوانب الفنية و العلمية المطلوبة³، و تتلخص تلك الضوابط في:

- 1- ثبوت النص و صحته إن كان حديثاً لتواتر القرآن دون الحديث.
- 2- ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتاً قاطعاً و توثيق ذلك توثيقاً علمياً يتجاوز مرحلة الفرض و النظرية إلى القانون العلمي.
- 3- وجود الإشارة إلى الحقيقة العلمية في النص القرآني أو الحديثي بشكل واضح لا مرية فيه.⁴

فإذا تم ذلك أمكنت دراسة القضية لاستخراج وجه الإعجاز:

جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع و رد بعضها إلى بعض لتخرج نتيجة صحيحة لا يعارضها شيء من تلك النصوص بل يؤيدها.

1. معرفة ما يتعلق بالموضوع من سبب نزول و نسخ و هل يوجد شيء من ذلك أو

لا؟

2. محاولة فهم النص الواقع تحت الدراسة على وفق فهم العرب إبان نزول الوحي و

ذلك التغير دلالات الألفاظ حسب مرور الوقت.

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 127.

² محمد الصالح غريسي، مقدمات التحرير و التنوير دراسة تحليلية نقدية، مرجع سابق، ص 351.

³ عبد الله المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن و السنة تاريخه و ضوابطه، (ط:2؛ لا.م: دار عمار، 1429هـ/2006م)، ص 30.

⁴ المرجع نفسه.

3. إظهار وجه الإعجاز بالربط بين الحقيقة الشرعية و الحقيقة العلمية بأسلوب واضح و مختصر.¹
 4. عدم البحث في الأمور الغيبية كموعد قيام الساعة و بداية الخلق.²
 5. حصر المعلومات و دراستها من غير تحيز إلى فكرة أو رأي سابق مع التقيد بالمنهج العلمي في التوثيق و الاقتباس.³
- و ضوابط الإعجاز عند ابن عاشور أن كل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك، فالحقيقة العلمية مراده بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر وبمقدار ما ستبلغ إليه".⁴

¹ المرجع السابق، ص34.

² عبد الباري الندوي، الدين و العلوم العقلية، تعريب واضح رشيد الندوي، بواسطة: عبد الله مصلح، الإعجاز العلمي في القرآن و السنة تاريخه و ضوابطه، مرجع سابق، ص10.

³ عبد الوهاب ابو سليمان، كتابة البحث العلمي، بواسطة: عبد الله المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن و السنة تاريخه و ضوابطه، مرجع سابق، ص19-20.

4 التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص 44.

المبحث الثاني: الهدف من دراسة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

إن القرآن الكريم حافل بالإشارات العلمية و كل منها يدعو الفطرة الموحدة لمزيد من التوحيد، و الخشوع و الخشية و الإخبات للحق سبحانه وتعالى، فالباحثون المختصون بالإعجاز في القرآن الكريم، كان أول ما يلفت نظرهم بلاغة أسلوبه وروعة نظمه، ثم أطلوا النظر في معانيه، فتكشَّف لهم ما في معانيه من الحكمة والدقة في التعبير عن حقائق التاريخ، وذكر المُنْغَيَّباتِ، وبيان الشرائع، والإشارة إلى أسرار الخلق في الكون والحياة، وإذا كان إدراك سمو التعبير في القرآن قد ضعف في القرون المتأخرة لدى الكثيرين، بسبب ضعف ملكة اللغة، فإن إدراك ما في القرآن من معانٍ وحكم وإشارات إلى أسرار الخلق لا يحول دون إدراكه وفهمه ضعف اللغة العربية أو الجهل بها، ومن ثم نشطت مباحث الإعجاز المتعلقة بمعاني القرآن في زمننا على نحو قد يفوق المباحث المتعلقة بالأسلوب والنظم¹.

وانبثق عن ذلك ما يُعرَفُ بالإعجاز العلمي الذي يُعنى بالوقوف على ما تضمنه القرآن الكريم من إشارات تعبر عن حقائق علمية لم تعرفها البشرية إلا بعد التقدم العلمي الكبير في العصر الحديث، وهي من أوضح الأدلة على صدق النبي ﷺ ودليل جديد على ربانية القرآن الكريم².

فالعلوم الحديثة مصدقة لما في الكتاب و السنة، فأسرت بأبحاثها عقول العلماء المفكرين المنصفين؛ لأن قبولهم بنتائج العلوم التجريبية وقبولهم بشهاداته و مقرراته يلزمهم بقبول الإعجاز العلمي، و الدليل على هذا إسلام الكثير من الطبقات المثقفة بعد اطلاعهم³ على ما في القرآن الكريم، و السنة النبوية و التي تشهد للرسول ﷺ بصدق الرسالة، قال تعالى :

﴿لَٰكِنَ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦٓ وَأَمْلَيْكَهٖ يَشْهَدُونَ ۖ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَٰهِدًا ۝ۙ﴾

النساء/ 166⁴.

¹ غانم قدوري الحمد، علم الدين السخاوي و موقفه من الإعجاز العلمي، عرض و مناقشة، المجلة العالمية لبحوث القرآن، ص13.

² المرجع السابق، ص13.

³ انظر كتاب: إنه الحق، عبد المجيد عزيز الزنداني، مرجع سابق، وفيه قصص عن إسلام بعض البروفسورات، وانظر: عبد الكريم علي عبده الفهدي، الإعجاز العلمي و الدعوة إلى الله، (لا. ط؛ اليمن، 1432هـ-2012م)، ص91-109.

⁴ المرجع نفسه، ص87.

فسبحان من علّم و أخبر محمداً بهذه العلوم و الأخبار قبل أكثر من ألف و أربعمئة عام، هل كان يمتلك أدوات بحث متطورة في الطب كالميكروسكوبات و في البحار كالغواصات و في الفلك كالمناظير الضخمة، كل قادة العلوم يقولون إن الأبحاث و أدواتها العلمية لم تتطور إلا في القرنين الأخيرين فقط إذا من أخبر محمد بهذه الحقائق أكان عنده من أدوات البحث العلمي ليكتشف هذه الحقائق العلمية في الطب و الجيولوجيا و الفلك وغير ذلك من العلوم ؟ كان عنده العلم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أخبر بأخبار الكون في بدايته، فجاء العلم مصدقاً لما قرر. و أخبر عن حاله و ما به الآن، فجاء العلم مصدقاً لما قرر، وأخبر عن مستقبله و سينكشف ذلك و سيصدق العلم إن شاء الله ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام/67.

ويقول ابن عاشور عن أهميته: "وإعجازه من هذه الجهة للعرب ظاهر : إذ لا قبل لهم بتلك العلوم كما قال الله تعالى : ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ هود/49، و إعجازه لعلمة الناس أن تجيء تلك العلوم من رجل نشأ أمياً في قوم أميين وإعجازه لأهل الكتاب خاصة إذ كان ينبئهم بعلوم دينهم مع كونه أمياً"¹.

والأمية وصف خص الله به من رسله محمداً ﷺ، إتماماً للإعجاز العلمي العقلي الذي أيدّه الله به، فجعل الأمية وصفا ذاتيا له، ليتم بها وصفه الذاتي وهو الرسالة، ليظهر أن كماله النفساني كمال لدنّي إلهي، لا واسطة فيه للأسباب المتعارفة للكمالات، وبذلك كانت الأمية وصف كمال فيه، مع أنها في غيره وصف نقصان، لأنه لما حصل له من المعرفة وسداد العقل ما لا يحتمل الخطأ في كل نواحي معرفة الكمالات الحق، وكان على يقين من علمه، وبينه من أمره، ما هو أعظم مما حصل للمتعلمين صارت أميته آية على كون ما حصل له إنما هو من فيوضات إلهية².

أمر غريب محوّر حقاً أن تأتي هذه المعجزات العلمية على قلب رجل أمياً كان راعياً للغنم في نشأته الأولى، ثم اشتغل بالتجارة صبيّاً، وأكثر هذه المعجزات لم يصل العلم إلى

¹التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 72.

² المرجع نفسه، ج 9، ص 133.

بعضها إلا مؤخراً، قل تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ

الْمُبْطَلُونَ ﴿٤٨﴾ العنكبوت/48.

و هنا يرد التساؤل: لِمَا يكتشف الغرب الحقائق دون المسلمين؟ يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني مجيباً عن هذا السؤال: "...للأسف اليوم في هذا الدور التاريخي الذي نمر به و المرحلة التاريخية، تُمكن غير المسلمين، و تُمكن الغربيون و كذلك غيرهم من الشرقيين أن يشاهدوا هذه الآيات التي تحدث.. والتي جاءت في كتاب الله تعالى تُحدثنا عن نفس الموضوعات التي شاهدها القوم.. فهم شاهدوا و نحن سمعنا، ولكن هذا بسبب مستوانا الحضاري ولو كانت لدينا أدوات الرؤية و أدوات المشاهدة لاكتشفنا نحن أيضاً .

ثم يتابع الزنداني قائلاً: إن البروفيسور (كيفمور)¹ وُجه له نفس السؤال، قالوا له: كيف ولماذا أنتم الذين تكتشفون هذه الحقائق دون المسلمين؟ فقال: لعلّ هذا أبلغ في إظهار المعجزة القرآنية فلو أن المسلمين هم الذين اكتشفوا هذا لاثَّهروا بالانحياز إلى الإسلام..فلعلّ هذا أبلغ في إظهار هذا الأمر².

¹ وهو من أشهر علماء العالم في الأجنة و كتابه يُدرس في ثمان دول، مرجع علمي بثمان لغات.
² يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهرة، (ط:2؛ دمشق: مكتبة ابن حجر، 1424هـ-2003م، ص983-984.

المبحث الثالث: موقف ابن عاشور من الإعجاز العلمي

بيّن الطاهر بن عاشور موقفه من الإعجاز العلمي من خلال ما أصله في المقدمة العاشرة، و سار عليه في كتابه التحرير و التنوير، و يعتبر ابن عاشور من المثبتين للإعجاز العلمي فهو المنكر على النافين له. و ساق لذلك أدلة من الكتاب و السنة يثبت بها ما ذهب إليه، و يفند الرأي المخالف له.

و استدللّ بما رواه البخاري من قوله ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا أوتي -أو أعطي- من الآيات ما مثله آمن عليه البشر و إنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي و إنني أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"¹. فهو يعتبر هذا الحديث دليلاً على الإعجاز العلمي للقرآن و يرى أن النبي ﷺ أوتي وحياً و هذا الوحي قرآن معجز لفظاً و معناً ولا يكون أكثر الأنبياء تابعا إلا إذا كان هذا القرآن صالحاً لكل زمان.

فقال معقّباً على الحديث: "و قوله إنما كان الذي أوتيته وحياً اقتضى أن ليست معجزته من قبيل الأفعال كما أتت معجزات الرسل الأولين أفعالاً لا أقوالاً... بل كانت معجزته القرآن من دلالة عجز البشر عن الإتيان بمثله من جهتي اللفظ و المعاني، و بذلك يمكن أن يؤمن به كل من يبتغي إدراك ذلك من البشر و يفصح عن ذلك تعقيبه بقوله: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا إذ قد عطف بالفاء المؤذنة بالترتيب"².

ثم بيّن وجه المناسبة بين كونه أوتي وحياً و بين كونه يرجو أن يكون أكثرهم تابعا. فقال "فالمناسبة بين كونه أوتي وحياً و بين كونه يرجو أن يكون أكثرهم تابعا لا تتجلي إلا إذا كانت المعجزة صالحة لجميع الأزمان حتى يكون الذين يهتدون لدينه لأجل معجزته أمما كثيرين على اختلاف قرائحهم فيكون هو أكثر الأنبياء تابعا لا محالة"³.

و حتى لا يرد على ابن عاشور أن هذا النوع من الإعجاز مقرون بالتحدي و أنه ثابت لكل سورة من سور القرآن صرح بأن هذا الوجه من الإعجاز حاصل من القرآن و غير حاصل به صراحة، كما أنه ثابت للقرآن بمجموعه لا بجميعه. فقال: "و هذه الجهة من

¹ أخرجه الشيخان: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول المحي و أول ما نزل (6/ 4981)؛ و مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم إلى جميع الناس 152.

² التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 128.

³ المرجع نفسه، ج 1 ص 129.

الإعجاز إنما تثبت للقرآن بمجموعه أي مجموع هذا الكتاب إذ ليست كل آية من آياته و لا كل سورة من سوره بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز و لذلك فهو إعجاز حاصل من القرآن و غير حاصل به التحدي إلا إشارة¹.

و يرى ابن عاشور أن الإعجاز العلمي على ضربين ضرب للناس عامة و ضرب لأهل الكتاب خاصة و العجب أن تكون العلوم من رجل أمي في قوم أميين ليكون بهذا دليلاً على أن القرآن هو من عند الله وحده فقال في ذلك: "و إعجازه... للعرب ظاهر إذ لا قبل لهم بتلك العلوم كما قال تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ هود/49، و إعجازه لعامة الناس أن تجيء تلك العلوم من رجل نشأ أمياً في قوم أميين، و إعجازه لأهل الكتاب خاصة إذ كان ينبئهم بأمر دينهم مع كونه أمياً. و لا قبل لهم بأن يدعوا أنهم علموه إلا أنه كان بمرأى من قومه في مكة بعيداً عن أهل الكتاب".²

ولقد نقض الإمام الشاطبي³ - رحمه الله - في كتابه "الموافقات" فكرة الإعجاز العلمي⁴، وابن عاشور هو أول من اهتم بالرد على الإمام الشاطبي في هذا العصر وأثبت الإعجاز العلمي في القرآن⁵، وذكر أن قسماً من العلماء يرون من الحسن التوفيق بين العلوم الدينية وآلاتها وبين المعاني القرآنية مثل: "ابن رشد"⁶، "الغزالي"⁷، "الرازي"⁸،

¹ التحرير و التنوير، المرجع السابق، ج1، ص128.

² المرجع نفسه، ج1 ص129.

³ الشاطبي الامام المسند، أبو محمد، عبد الله بن علي بن أحمد بن علي، اللخمي الاندلسي، الشاطبي، سبط الحافظ ابن عبد البر، وكان مولده في سنة 443. أجاز له عدة تصانيفه في سنة 462، (انظر: الزركلي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص92)

⁴ ابي اسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج2، (ط: لا، دار بن عفان، دبت)، ص127-135.

⁵ محمد الصالح غريسي، مقدمات التحرير و التنوير دراسة تحليلية نقدية، مرجع سابق، ص354.

⁶ ابن رشد الحفي الفيلسوف أبو الوليد القرطبي، ولد سنة 520هـ وتوفي 604، ولي القضاء، اعتنى بالفلسفة و المنطق، من مؤلفاته فصل المقال بين الشريعة و الحكمة من اتصال، (انظر: الزركلي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص309).

⁷ الغزالي الشيخ الامام البحر، حجة الاسلام، زين الدين أبوحامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، توفي 505هـ، صاحب التصانيف، وأخذ في تأليف الاصول والفقه والكلام والحكمة، وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام، ومزال الاقدام، وله سر في خلقه، وألف كتاب "الاحياء"، وكتاب الاربعين"، وكتاب "القسطاس"، وكتاب "محك النظر" (انظر: الزركلي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص323).

⁸ الرازي الشيخ العالم، المعمر الثقة، مسند الاسكندرية ومصر، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرازي عنى بعلم الكلام، من مؤلفاته التفسير الكبير، مولده في سنة أربع وثلاثين وأربع مئة، مات في سادس جمادى الاولى سنة خمس وعشرين وخمس مئة، وله إحدى وتسعون سنة، (انظر: سير أعلام النبلاء، ج19، ص583).

و"أبي بكر بن العربي"¹.

فالإعجاز العلمي مناسب للبشرية جمعاء؛ لأن الإنسان المخاطب بهذا الكتاب بحاجة إلى الإيمان بحقائق الدين عن الألوهية والحياة، و وجود الإنسان ومصيره ومشكلاته، ولا يكون ذلك إلا بإدراك الإعجاز في القرآن من هذا الوجه.²

المطلب الأول: طرق الإعجاز العلمي عند ابن عاشور

جعل ابن عاشور للإعجاز العلمي طريقتين:

أولاً: أنه دعى للنظر والاستدلال، واستدل بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء/22. أي لو كان في السماوات والأرض آلهة أخرى ولم يكن جميع من فيها ملكا لله وعبادا له لفست السماوات والأرض واختل نظامها الذي خلقنا به.³

وهذا استدلال على بطلان عقيدة المشركين إذ زعموا أن الله جعل آلهة شركاء له في تدبير الخلق أي أنه بعد أن خلق السماوات والأرض أقام في الأرض شركاء لهو بذلك يتبين أن المشركين لم يكونوا ينكرون أن الله خالق السماوات والأرض. فهي مسوقة لإثبات الوحداية لا لإثبات وجود الصانع إذ لا نزاع فيه عند المخاطبين ولا لإثبات انفراده بالخلق إذ لا نزاع فيه كذلك ولكنها منتظمة على ما يناسب اعتقادهم الباطل لكشف خطئهم وإعلان باطلهم.⁴

ثانياً: فتح العين إلى فضائل العلوم بان شبه العلم بالنور والحياة و ذكر في تفسير: ﴿قُلْ

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر / 9.

والمعنى: الذين اتصفوا بصفة العلم وليس المقصود الذين علموا شيئاً معيناً حتى يكون من حذف المفعولين اختصاراً، إذ ليس المعنى عليه وقد دل على أن المراد: الذين اتصفوا بصفة العلم أي أهل العقول والعقل والعلم مترادفان، أي لا يستوي الذين لهم علم فهم

¹ ابن العربي: الامام الحافظ محمد ابو بكر بن العربي، الاندلسي المالكي ؛ (468هـ-543هـ)، اشهر مؤلفاته: احكام القرآن.(طبقات المفسرين العشرين، جلال الدين السيوطي، ص105).

² بن عيسى بطاهر، قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، بواسطة: محمد الصالح غريسي، مقدمات التحرير و التنوير دراسة تحليلية نقدية، مرجع سابق، ص352.

³ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج17، ص38.

⁴ المرجع نفسه، ص 39.

يدركون حقائق الأشياء على ما هي عليه، و تجري أعمالهم على حسب علمهم مع الذين لا يعلمون فلا يدركون الأشياء على ما هي عليه، بل تختلط عليهم الحقائق وتجري أعمالهم على غير انتظام، كحال الذين توهموا الحجارة آلهة و وضعوا الكفر موضع الشكر، فتعين أن المعنى: لا يستوي من هو قانت آناء الليل يحذر ربه ويرجوه ومن جعل لله أندادا ليضل عن سبيله.¹

المطلب الثاني: مصطلح الإعجاز عند ابن عاشور

يلاحظ أن مدلول العلم عند ابن عاشور أوسع من مدلول المعتنين بالإعجاز العلمي الذين جعلوه في العلوم التجريبية، و قد ظهر أثر توسع المدلول عنده في التطبيقات المستخرجة من كتابه التحرير و التنوير و هي قريبة من العشرين موضعاً²، و سنذكر منها: أولاً: إطلاقه على ما يسمى عند بعض المعاصرين بالإعجاز التاريخي:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِن كُنْتُ لِلرَّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ يوسف/ 43

هذا عطف جزء من قصة على جزء منها تكملة لوصف خلاص يوسف عليه السلام من السجن والتعريف في (الملك) للعهد أي ملك مصر .

وسماه القرآن هنا ملكا ولم يسمه فرعون لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط وإنما كان ملكا لمصر أيام حكمها "الهكسوس" وهم العمالقة وهم من الكنعانيين أو من العرب ويعبر عنهم مؤرخو الإغريق بملوك الرعاة أي البدو. وقد ملكوا بمصر من عام 1900 إلى عام 1525 قبل ميلاد المسيح عليه السلام، و كان عصرهم فيما بين مدة العائلة الثالثة عشرة و العائلة الثامنة عشرة من ملوك القبط إذ كانت عائلات ملوك القبط قد بقي لها حكم في مصر العليا في مدينة " طيبة " كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ يَوْسُفُ/ 21. و كان ملكهم في تلك المدة ضعيفا لأن السيادة كانت لملوك مصر السفلى.

¹ التحرير و التنوير، المرجع السابق، ج 23، ص 348.

² مساعد بن سليمان الطيار، الإعجاز العلمي إلى أين، (ط2؛ المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، 1433هـ)، ص 177.

ويقدر المؤرخون أن ملك مصر السفلى في زمن يوسف عليه السلام كان في مدة العائلة السابعة عشرة؛ فالتعبير عنه بالملك في القرآن دون التعبير بفرعون مع أنه عبر عن ملك مصر في زمن موسى عليه السلام بلقب فرعون هو من دقائق إعجاز القرآن العلمي .
وقد وقع في التوراة إذ عبر فيها عن ملك مصر في زمن يوسف عليه السلام فرعون وما هو بفرعون لأن أمته ما كانت تتكلم بالقبطية و إنما كانت لغتهم كنعانية قريبة من الإرامية والعربية فيكون زمن يوسف عليه السلام في آخر أزمان حكم ملوك الرعاة على اختلاف شديد في ذلك¹.

ثانياً: الإعجاز العلمي في اصطلاح المعاصرين:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝١٣ فُخَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤﴾

المؤمنون/12-14.

و حرف (ثم) في قوله تعالى : ﴿ فُخَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ . للترتيب الرتبي إذ كان خلق النطفة علقه أعجب من خلق النطفة إذ صير الماء السائل دما جامدا فتغير الكثافة وتبدل اللون من عوامل أودعها الله في الرحم.
ومن إعجاز القرآن العلمي تسمية هذا الكائن العلقه فإنه وضع بديع لهذا الاسم إذ قد ثبت في علم التشريح أن هذا الجزء الذي استحالت إليه النطفة هو كائن حي له قوة امتصاص القوة من دم الأم بسبب التصاقه بعروق في الرحم تدفع إليه قوة الدم . والعلقه: قطعة من دم عاقد.

والمضغة : القطعة الصغيرة من اللحم مقدار اللقمة التي تمضغ . وعطف جعل العلقه مضغة بالفاء لأن الانتقال من العلقه إلى المضغة يشبه تعقيب شيء عن شيء إذ اللحم والدم الجامد متقاربان فتطورهما قريب وإن كان مكث كل طور مدة طويلة و خلق المضغة عظما هو تكوين العظام في داخل تلك المضغة وذلك ابتداء تكوين الهيكل الإنساني².

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج12، ص280.

² التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج18، ص24-25، وانظر: ص 48-51 من المذكرة.

ثالثاً: موافقة العقل الحق

هذا النوع الذي ذكره لا يستريب فيه مسلم إذ العقل الصحيح لا يناقضه النص الصريح مطلقاً . و كون العقل إلى حدود و تقسيمات و معلومات صحيحة فإنه لا يمكن أن يختلف ما يتوصل إليه الناس بعقولهم الصحيحة مع ما جاء به القرآن¹.

في قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمِ مَا لَقِيَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ

عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٢﴾ النحل/ 152

ويندرج في ﴿ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ رد تكذيبهم بكلام غير صريح في إبطال قولهم من الكلام

الموجه مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ/ 24 وقوله: ﴿ وَإِنْ جَدَلُوكَ

فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الحج/ 68.

و الآية تقتضي أن القرآن مشتمل على هذه الطرق الثلاثة من أساليب الدعوة وأن الرسول ﷺ إذا دعا الناس بغير القرآن من خطبه ومواعظه وإرشاده يسلك معهم هذه الطرق الثلاثة . وذلك كله بحسب ما يقتضيه المقام من معاني الكلام ومن أحوال المخاطبين من خاصة وعامة .

ومن الإعجاز العلمي في القرآن أن هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلي الحق وهي البرهان والخطابة والجدل المعبر عنها في علم المنطق بالصناعات وهي المقبولة من الصناعات .

وأما السفسطة والشعر فيربأ عنهما الحكماء الصادقون بله الأنبياء والمرسلين².

¹ مساعد بن سليمان طيار، الإعجاز العلمي الي أين، مرجع سابق، ص 181.

² التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج14، ص331.

المبحث الرابع: التفسير العلمي و موقف ابن عاشور منه

المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي

الفرع الأول: تعريف التفسير

لغة: أصله من الفَسَدَ و هو الكشف و الإبانة و كشف المغطى أو هو كشف المراد عن اللفظ المشكل¹ أو إظهار المعنى المعقول².

اصطلاحاً: الكلام المدوّن في كتب أهل العلم في معنى التفسير اصطلاحاً كثيراً جداً و الأقوال فيه متنوعة حتى و صلت إلى ثلاث عشر تعريفاً منها البعيد و منها البعيد المردود³، و سنكتفي بذكر تعريف ابن عاشور لأنه محل دراستنا:

قال ابن عاشور: و التفسير في الاصطلاح نقول: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن و ما يستفاد منها باختصار أو توسع ... و موضوع التفسير من حيث البحث عن معانيه و ما يستنبط منه، و بهذه الحيثية خالف علم القراءات لأن تمايز العلوم كما يقولون بتمايز الموضوعات و حيثيات الموضوعات⁴.

وقد تطرقنا الى تعريف العلم لغة و اصطلاحاً في المبحث الأول من هذا الفصل⁵.
مصطلح التفسير العلمي مصطلح مستحدث فإننا لم نجد في كتب المتقدمين تعريفاً له و إنما كان مشتملاً في إطار تعريف التفسير العام⁶. و إن التعريفات الواردة إنما هي من القرن الرابع عشر هجري إلى وقتنا اليوم و يعتبر تعريف الأمين الخولي⁷ أقدم تعريف مما وقفنا عليه. و يعتبره ابن عاشور: جلب مسائل علمية من علوم لها مناسبة بمقصد الآية إما على أن بعضها يومئ إليه معنى الآية و لو بالتلويح ما، و إما على وجه التوفيق بين المعنى

¹ محمد بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد احمد حب الله، هاشم محمد الشاذلي، ج5 (ط: لا، القاهرة، دار المعارف، د.ت)، ص3412.

² الراغب الاصفهاني، مفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، (ط: لا؛ بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص380.

³ محمد الصالح غريسي، مقدمات التحرير و التنوير دراسة تحليلية نقدية، مرجع سابق، ص61.

⁴ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج1 ص11-12.

⁵ انظر: ص25، من المذكرة.

⁶ مرهف عبد الجبار السقا، التفسير و الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، (ط: 1؛ دمشق، دار محمد الأمين، 1431 هـ - 2010 م)، ص53.

⁷ أمين الخولي: (1313 هـ - 1385 هـ / 1895 م - 1966 م) من أعضاء المجمع اللغوي بمصر و تعلم بالازهر تخرج بمدرسة القضاء الشرعي و تقلد مناصب عدة ثم احيل إلى المعاش و مثل مصر في عدة مؤتمرات، توفي بالقاهرة و له العديد من المؤلفات منها مالك بن أنس المجددون في الاسلام. (انظر: الاعلام للزركلي ج2، ص16).

القرآني و بين المسائل الصحيحة من العلم حيث يمكن الجمع، و إما على وجه الاسترواح* من الآية¹.

فالعلامة ابن عاشور يفهم من كلامه أن التفسير العلمي لا يقتصر على جلب المسائل الصحيحة من العلم التجريبي فقط، بل يراها أعم من ذلك، فذكر علوم الحكمة، وتفاصيل من علم الاقتصاد السياسي وتوزيع الثروة العامة معللين بذلك مشروعية الزكاة والمواريث والمعاملات المركبة من رأس مال وعمل؛ بشرط أن تومئ إليه الآية إيماء؛ وكذلك تقرير بعض مسائل العقيدة مما يدخل في علم العقائد. فهذا كله يشمل تعريف التفسير العلمي عند العلامة ابن عاشور².

و هذا النوع من التفسير لا يخرج عن أحد نوعي التفسير بالرأي (تفسير مردود مذموم و تفسير محمود مقبول)، لأن المفسر يجتهد في دلالة الآية على العلوم المستنبطة منها، و يجتهد في توظيف معارف عصره³.

و ذكره السيوطي⁴ في الإتقان في النوع الخامس و الستين من علوم القرآن بقوله (في العلوم المستنبطة من القرآن)⁵، فقوله (المستنبطة) بيان للاجتهاد في استخراج مختلف العلوم العلوم من القرآن و الاستدلال عليها⁶.

فالتفسير العلمي للقرآن هو تفسير استدلالي نظري، تشترك فيه عدة عوامل اجتهادية، فان كانت هذه الاجتهادات من المفسر تجري على كلام العرب، وتوافق مناحيهم في القول و لا تخالفه و تراعي شروط التفسير بالتعاون مع عالم في العلم المستنبط المستدل عليه من القرآن فإنه مقبول.

* الاسترواح: اي اطمئنان القلب ان يكون ذلك من المعاني التي تحتملها الآية، و من ثم يضع ابن عاشور شرطاً أساسياً لاستعانة المفسر بمثل هذه العلوم. (منهج الامام الطاهر بن عاشور في التفسير التحرير والتنوير، نبيل احمد صقر، ص222).

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج1، ص 42-43.

² محمد الصالح غريسي، مقدمات التحرير و التنوير دراسة تحليلية نقدية، مرجع سابق، ص159.

³ انظر: مرهف عبد الجبار السقا، التفسير و الإعجاز العلمي في القرآن، مرجع سابق، ص70.

⁴ عبد الرحمن بن ابى بكر بن محمد بن سابق الدين الخصيرى السيوطى جلال الدين توفى 911هـ، إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو 600 مصنف نشأ فى القاهرة يتيما وبها توفى ومن أشهر مؤلفاته الإتقان فى علوم القرآن والأشباه والنظائر فى العربية، والأشباه والنظائر فى فروع الشافعية والحاوى للفتاوى. (انظر: تراجم موجزة للأعلام: ج 2، ص 120)

⁵ جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، ج4(ط:لا؛ المملكة العربية السعودية، لا، د.ت)، ص24.

⁶ مرهف عبد الجبار السقا، التفسير و الإعجاز العلمي في القرآن، مرجع سابق، ص70.

و أما إن كان التفسير لاوياً لدلالة النص عن و جهتها، أو متعلقاً بأهداب وهمية، دون مراعاة لشروط و قواعد التفسير و مخالفا لقواعد اللغة، و القواعد العلمية المنهجية، أو كان المفسر ليس من أهل الاختصاص و لا يملك أدوات التفسير، و ليس من أهل العلم المستنبط، فهذا التفسير المذموم المردود¹.

المطلب الثاني: شروط التفسير العلمي و ضوابطه

من شروط التفسير العلمي الضوابط المتعلقة بالباحث:

إن الباحث هو المدار الأول في عملية التفسير العلمي، و إن العناية في تأهيله من اوجب الواجبات و أولى الضروريات، وان وضع شروط الباحث أو المفسر لا يقل أهمية عن وضع شروط التفسير العلمي و أصوله و ذلك حسما للفوضى العلمية و الفكرية و حفاظا على موضوعية البحث العلمي² و تتمثل هذه الضوابط بالآتي:

1- العدالة : و هي الإسلام و سلامة الاعتقاد و ملازمة التقوى و معرفة المفسر بالعلم و البحث الجاد.

2- التجرد من العوامل المؤثرة في العمل العلمي: كالتجرد و التنزه عن الانسياق بدافع خلفيات مسبقة لعمله سواء كان انسياق فكري أو مذهبي أو عاطفي.

3- تحرير النية لله تعالى و الإخلاص في العمل.

4- الأهلية و هي توفر الشروط العلمية و امتلاك الأدوات التي يحتاج إليها المفسر³.

من شروط التفسير العلمي: ضوابط البحث العلمي

يُعد البحث العلمي المطلب الثاني الضروري في عملية التفسير العلمي و إن اتصاف البحث بالعلمي يعني التزامه بالعلم المكتوب فيه. و من تلك الضوابط التي يجب على الباحث مراعاتها في بحثه ما يلي:

1- مراعاة التخصص العلمي: و يكون بالرجوع للكتب الموثقة و الدراسات الأكاديمية

المختصة.

2- وجوب الملاحظة المنهجية في المعلومات.

¹ المرجع السابق، ص71.

² مرهف عبد الجبار السقا، التفسير و الإعجاز العلمي، مرجع سابق، ج1، ص183.

³ انظر: مرهف عبد الجبار السقا، التفسير و الإعجاز العلمي، المرجع السابق، ج1، ص183-188.

3- التثبت و التحقيق في كل خطوة من خطوات البحث¹.

و ذكر ابن عاشور شروط التفسير العلمي فقال: "وشرطه أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ عربية، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفاً بيناً، ولا خروجاً عن المعنى الأصلي حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية"². وأضاف شرطاً آخر بقوله: "وشرط كون ذلك مقبولا أن يسلك فيه مسلك الإيجاز فلا يجلب إلا الخلاصة من ذلك العلم ولا يصير الاستطراد كالغرض المقصود له لئلا يكون كقولهم بالسّيّ بالسّيّ يذكر"³.

المطلب الثالث: الفرق بين الإعجاز العلمي و التفسير العلمي

التفسير العلمي بحسب الإطلاق أعم من الإعجاز العلمي فكل إعجاز علمي فهو من قبيل التفسير العلمي دون العكس⁴. هذا من حيث وضعهما كمصطلحين فيمكن التفريق بينهما بما يأتي:

1- الإعجاز العلمي خاص بما يتعلق بالتوفيق بالحقائق الشرعية و الحقائق الكونية التفسير العلمي يتناول النظريات و الإشارات الضمنية⁵.

2- التفسير العلمي إذا لم تراعى ضوابطه و شروطه يكون سبباً في وقوع الخطأ في فهم كتاب الله لسعة مجاله، و لذا فإن كثيراً من الباحثين المعاصرين انحرفوا فيه عن الصواب فوقعوا في الخطأ شنيعة عندما حاولوا ربط فهمهم للوحي بنظريات و فروض خاطئة⁶. أما الإعجاز العلمي في القرآن و السنة فهو أوضح من ذلك و أبعد و الخطأ فيه أقل إذ أنه غالباً ما يكون في عدم الربط بين الحقيقة الشرعية و الكونية.

و بمراعاة ذلك يحصل الإعجاز و يظهر صدق الله و كتابه و رسوله صلى الله عليه و سلم للناس جميعاً، و بذلك يتم الانسجام بين الآيات الشرعية و الكونية و في ذلك دعوة إلى الإيمان كما أن فيه إثبات صلاحية الكتاب و السنة في كل زمان و مكان⁷.

¹ انظر: المرجع نفسه، ج1، ص189-191.

² التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص44.

³ المرجع نفسه، ج1، ص43.

⁴ عبد الله مصلح، الإعجاز العلمي في القرآن و السنة تاريخه و ضوابطه، ص43.

⁵ المرجع نفسه.

⁶ أحمد أبو حجر، التفسير العلمي في الميزان، بواسطة: عبد الله المصلح، الإعجاز العلمي في الكتاب و السنة تاريخه و ضوابطه، ص132-434.

⁷ عبد الله المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن و السنة تاريخه و ضوابطه، ص44.

المطلب الرابع: موقف ابن عاشور من التفسير العلمي:

اختلفت المواقف و تباينت الآراء حول التفسير العلمي، منذ القرون الأولى إلى الوقت الحاضر من مثبتين مطلقا مغالين فيه و معارضين مطلقا مجافين عنه و مثبتين معتدلين، فكل فريق ذهب بأدلته و حججه، و يعتبر ابن عاشور من المثبتين المعتدلين، حيث بين موقفه منه في ثنايا المقدمة الرابعة من التحرير و التنوير، حيث نقد الشاطبي و ردَّ عليه. وقبل سرد نقد ابن عاشور و ردوده نذكر بعض الخائضين في التفسير العلمي من كل مذهب:

الفرع الأول: المثبتون للتفسير العلمي مطلقا

إن أصحاب هذا المذهب يعتقدون أن القرآن حوى جميع العلوم دون استثناء، و هي فكرة قديمة نشأت مع دخول العلوم الحكيمة اليونانية في الفكر الإسلامي، و عرفت بقضية التوفيق بين الحكمة و الشريعة في بحوث فلاسفة الإسلام كابن رشد و غيره. و الأساس الذي أقام عليه فلاسفة الإسلام هذه الفكرة يتمثل في اعتبار أن كلا من الشريعة و الحكمة و الحق لا يضاد نفسه فلا بد إذن من التقاء الحكمة و الشريعة في النتائج و إن اختلفت مناهجها في البحث عن الحقيقة¹.

أ- الغزالي: يعتبر الغزالي أن العلوم لا نهاية لها، في القرآن إشارة إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيلها راجع إلى فهم القرآن، و مجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك².

و ذكر في الجواهر أن هذه العلوم ما عددنا منها و ما نعد، ليست أوائلها خارجة عن القرآن فإن جميعها مغترفة في بحر واحد، من بحار معرفة الله تعالى، و هو بحر الأفعال³. و العلوم المرادة من الغزالي هي علم الطب و علم النجوم و هيئة بدن الحيوان و تشريح أعضائه و غير ذلك⁴. و يعتبر الغزالي أول من عرض فكرة احتواء القرآن على على جميع أوليات العلوم الدينية و الدنيوية⁵.

¹ هند شلبي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين النظريات و التطبيقات، (ط: لا؛ تونس، لا.ن، 1985م)، ص44.

² ابو حامد الغزالي، احياء علوم الدين، ج1 (ط: لا؛ بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ص289.

³ ابو حامد الغزالي، جواهر القرآن، (ط: 2؛ بيروت، دار احياء علوم الدين، 1406هـ/1986م)، ص25-26.

⁴ مرهف عبد الجبار، التفسير و الإعجاز العلمي، ج1، ص117.

⁵ نعيم الحمصي، فكرة اعجاز القرآن، (ط: 2؛ بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980م)، ص92.

ب- طنطاوي جوهري¹: استمرت فكرة اشتغال القرآن على جميع العلوم إلى عصرنا الحاضر و معتمد العلماء فيها عموماً، فلئن كان إبراز جانب الإعجاز هو أساس الفكرة عند الأقدمين فقد أضاف إليها المعاصرون جانباً دفاعياً عن القرآن لتبرئة ساحته و رفع مسؤولية الانحطاط الذي آل إليه المسلمون².

فألف طنطاوي جوهري تفسيره الضخم الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على بدائع المكنونات و غرائب الآيات الباهرات. فقد كان يؤمن أن القرآن لا يفسر إلا بالعلم الحديث لأن العلم قد أصبح المعول عليه في إقناع العقول و المسلمون في حاجة إلى هذا اللون من التفسير لتخلفهم في المجالات العلمية³.

فقال: "ليعلم كل عالم أو ملك أمته جميع العلوم باعتبار أنها من الإسلام كما سيظهر إن شاء الله في هذا التفسير فإذا أبى المسلمون ما ذكرناه فإني أنذرهم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود، و قد بدت بوادرها في الطيارات القاذفات على القرى و الشيوخ و الصبيان"⁴. و قال إن تفسيره نفحة ربانية ألهم بها ليكون من أهم أسباب رقي المسلمين المستضعفين في الأرض⁵.

¹ طنطاوي جوهري: و لد 1870م - 1940م بمصر درس في الأزهر أشهر مصنفاته: نهضة الأمة، الجواهر في تفسير القرآن. (انظر: الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين)

² هند شلبي، الإعجاز العلمي في القرآن بين النظريات و التطبيق، ص47.

³ مرهف عبد الجبار السقاء، التفسير الإعجاز العلمي، ج1، ص167.

⁴ الطنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج1، (لاط؛ مصر، مطبعة مصطفى بابي الحلبي و أولاده، 1403هـ)، ص8.

⁵ المرجع نفسه.

الفرع الثاني: المعارضون مطلقا

سنكتفي بذكر أبي إسحاق الشاطبي، أقام الشاطبي رفضه التفسير العلمي للقرآن على مفهوم الأمية، فالشريعة في نظره ينبغي أن تكون أمية لأنها نزلت في قوم أميين فقال: علم التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم القرآن على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة منه ما يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فالمعاني التي لا عهد للعرب بها غير معتبرة و القرآن إنما أنزل بلسانها و على معهودها و أمة العرب كانت أمة أمية¹.

و ذكر أيضا : لا يصح في مسلك الفهم و الأفهام إلا ما يكون عاما لجميع العرب فلا يتكلف فيه فوق ما يقدر².

و قال ما تقرر من أمية الشريعة و أنها جارية على مذاهب أهلها و هم العرب ينبغي عليها قواعد منها. أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين و المتأخرين: من علوم الطبيعيات و المنطق و علم الحروف... فالصحابية و التابعين و من يليهم كانوا أعرف بالقرآن و بعلومه و ما أودع فيه و لم يبلغنا أن أحدا منهم تكلم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم³.

و الخلاصة من ذلك أن الشاطبي لا يوافق على التوسع في البحث عن العلوم الكونية و الادعاء إن العلوم بالجملة موجودة في القرآن أو أشار إليها⁴.

الفرع الثالث: المثبتون المعتدلون

و أبرز من مثل هذا المذهب الإمام ابن عاشور بحيث يعتبر معتدلا في الأخذ بالتفسير العلمي لما جعل لذلك شروطا يتقيد المفسر بها و قد ردّ ابن عاشور على الشاطبي في ستة أوجه كما ورد في المقدمة الرابعة:

- الوجه الأول: أن ما بناه عليه يقتضي أن القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال

إلى حال و هذا باطل، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ آيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ

الْعَاقِبَةُ لِلْمُصْبِرِينَ ۝٤٩﴾ هود/ 49.

¹ أبي إسحاق الشاطبي، الموافقات في اصول الشريعة، ج1، ص127.

² المرجع نفسه، ج1، ص136.

³ المرجع نفسه، ج1، ص127.

⁴ محمد الصالح غريسي، مقدمات التحرير و التنوير دراسة تحليلية نقدية، مرجع سابق، ص161.

– الوجه الثاني: أن مقاصد القرآن راجعة إلى عموم الدعوة و هو معجزة باقية فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تناوله الأفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة.

- الوجه الثالث: أن السلف قالوا : إن القرآن لا تنقضي عجائبه يعنون معانيه ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار أنواع معانيه.

– الوجه الرابع: أن من تمام إعجازه أن يتضمن من المعاني مع إيجاز لفظه ما لم تف به الأسفار المتكاثرة.

- الوجه الخامس: أن مقدار أفهام المخاطبين به ابتداء لا يقضي إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهوما لديهم فأما ما زاد على المعاني الأساسية فقد يتهياً لفهمه أقوام وتحجب عنه أقوام ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

- الوجه السادس: أن عدم تكلم السلف عليها إن كان فيما ليس راجعا إلى مقاصده فنحن نساعد عليه وإن كان فيما يرجع إليها فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات بل قد بينوا وفصلوا وفرعوا في علوم عنوا بها ولا يمتنعنا ذلك أن نقف على آثارهم في علوم أخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية أو لبيان سعة العلوم الإسلامية.

و أنكر ابن عاشور على ابن العربي رأيه في التفسير العلمي حيث أنكر و جود العلاقة بين العلوم الفلسفية و المعاني القرآنية و اعتبره مفرطا مستخفا بالحكماء ورد ذلك إلى عادته في تحقير العلوم الفلسفية¹.

و تعقبا على قول ابن العربي حيث رد العلوم إلى الفلسفة فصل ابن عاشور في هاته العلوم و أظهر العلاقة بينها و بين القرآن و جعلها أربعة مراتب:

الأولى : علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة.

الثانية : علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيئة وخواص المخلوقات.

الثالثة : علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق.

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج1، ص45.

الرابعة : علوم لا علاقة لها به إما لبطلانها كالزجر و العيافة¹ و الميثولوجيا² وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي.

¹ و العيافة الزجر قال " وعفت الطير أعافها عيافة: زجرتها، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها، فتسعد أو تتشاءم، والعائف: المتكهن بالطير أو غيرها " ونحوه في " الصحاح "، لكنه قال: " وأصواتها "، مكان؛ " أنوائها، أقسام الكهانة، مقال من شبكة الانترنت "http://madrasato-mohammed.com

² الميثولوجيا الإغريقية هي مجموعة الأساطير والخرافات التي آمن بها اليونانيون القدماء، والمهتمة بآلهتهم، وشخصياتهم الأسطورية الأخرى. مقال من الانترنت، <http://ar.wikipedia.org>

خلاصة الفصل الثاني

الإعجاز العلمي عند ابن عاشور يشمل النظريات و الإشارات العلمية التجريبية ويتجاوزها إلى التاريخ و المنطق و الحقائق العقدية و الدعوة إلى النظر و الاستدلال، ابن عاشور من المثبتين للإعجاز العلمي في القرآن و يعتبر من المعتدلين في الأخذ بالتفسير العلمي.

الفصل الثالث:

الإعجاز العلمي في الآيات الكونية عند الطاهر بن

عاشور

المبحث الأول: الإعجاز العلمي في آيات خلق السماوات و الأرض

المطلب الأول: أصل خلق السماوات و الأرض

المطلب الثاني: خلق السماوات و الأرض

المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في خلق الكائنات الحية عند الطاهر بن

عاشور

المطلب الأول: خلق الإنسان

المطلب الثاني: ألبان الأنعام

المبحث الثالث: الإعجاز العلمي في آيات البحار و الجبال عند ابن عاشور

المطلب الأول: خلق البحار و الأنهار

المطلب الثاني: خلق الجبال

المبحث الرابع: الإعجاز العلمي في الظواهر الجوية و الآيات الكونية

المطلب الأول: الضغط الجوي

المطلب الثاني: الليل و النهار

مدخل

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق/ 1

لقد كانت هذه الآية بداية الى ثورة علمية ظهرت على وجه الأرض ولا زالت مستمرة تنشر جمان علومها و معارفها على العالم أجمع إنه القرآن الكريم المعجزة الخالدة خلود الانسان على سطح الأرض و التي تكشف لنا كل حين آفاقا من العلم و المعرفة ولا يزال الانسان يقف على شاطئ البحر منها، ففي ثنايا صفحات هذا القرآن الكريم إشارات و لفتات علمية، حوى الكثير من الحقائق في مجال خلق الإنسان و الحيوان و الجبال و الأنهار والسموات و الأرض...

و تناول ابن عاشور في تفسيره عدة آيات متضمنة لتلك الحقائق غير انه لا يصيب أحيانا ولا يوفق الى المعنى السديد أحيانا أخرى و سنعرض في هذا الفصل مسلك ابن عاشور في تفسير بعض الآيات بحيث يتضح جليا رؤية ابن عاشور للحقائق العلمية و اللفتات المعرفية.

إن الاشتغال بفهم القرآن عن طرق العلوم ليس أمراً زائداً في نظر الشيخ ابن عاشور، إنما هو ضرورة نابعة من القرآن، لاشتماله على معاني ادّخر فهمها للآتين في العصور الحاضرة و المستقبل، وقد صرح بذلك عند شرحه للآية ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ البقرة/164، فقال: "... وفي الآية عبرة علمية لمن يجيء من أهل العلم الطبيعي"¹.

وجاء في تفسيره أيضا ما يؤكد هذا التوجه، وهذا الاهتمام في تفسيره للآية الكريمة:

﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ النمل/88

فبعد بيان شيء من رأيه، يقول: "...ولكن هذا استدعاء لأهل العلم والحكمة، لتتوجه أنظارهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة. وهذا من العلم الذي أودع

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج2، ص83.

في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم، كما كان معجزة للبلغاء من جانبه النظمي"¹.

ففي المباحث التالية سنعرض أمثلة من الإعجاز العلمي عنده، وهي تلك التي اختتمها بوصف الإعجاز العلمي

¹التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج20، ص49.

المبحث الأول: الإعجاز العلمي في آيات خلق السماوات و الأرض عند الطاهر بن عاشور

المطلب الأول: أصل خلق السماوات و الأرض

في ضوء استشراف تاريخ اكتشاف توسع الكون، تتجلى المعاني الإعجازية الكامنة في الآية الكريمة: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

الأنبياء 30/

وهي تتناول موضوع الرق والفتق، وهو موضوع كوني عام داخل في صلب التكوين، و قد اعتبر ابن عاشور أن هذه الآية من معجزات القرآن العلمية؛ فيقول – رحمه الله - بعد أن عرّف (الرق و الفتق)¹ بأنهما:

الرتق: الاتصال والتلاصق بين أجزاء الشيء، والفتق: ضده، وهو الانفصال والتباعد بين الأجزاء.

ثم أخذ يعرض معانٍ أخرى يحتملها مصطلحا الرق والفتق؛ فقال: "...والرتق يحتمل أن يراد بهمعانٍ تنشأ على احتمالاتها معانٍ في الفتق، فإن اعتبرنا الرؤية بصرية فالرتق المشاهد، هو ما يشاهده الرائي من عدم تخلل شيء بين أجزاء السماوات وبين أجزاء الأرض، والفتق هو ما يشاهده الرائي من ضد ذلك، حين يرى المطر نازلاً من السماء ويرى البرق يلعب منها والصواعق تسقط منها ففتقها، و حين يرى انشقاق الأرض بماء المطر، وانبثاق النبات والشجر منها بعد جفافها، وكل ذلك مشاهد مرئي دال على تصرف الخالق، وفي هذا المعنى جمع بين العبرة والمنة، كما قال ابن عطية² أي هو عبرة دلالة على عظم القدرة وتقريب لكيفية إحياء الموتى³ كما قال تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ

سورة فاطر/09

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج 17، ص 53.

² ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج 4 (ط:1؛ بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ)، ص80.

³ وهذا هو الرأي المختار عند الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج18 (ط:1؛ لا، مؤسسة الرسالة 1420هـ-2000م)، ص433.

واحتمل أن يراد بالرتق معان غير مشاهدة، ولكنها مما ينبغي طلب العلم به، لما فيه من الدلائل على عظم القدرة وعلى الوحدانية، فيحتمل أن يراد بالرتق والفتق حقيقتاهما، أي الاتصال والانفصال. ثم هذا الاحتمال يجوز أن يكون على معنى الجملة، أي كانت السماوات والأرض رتقا واحدا¹.

أي كانتا كتلة واحدة ثم انفصلت السماوات عن الأرض ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ في سورة هود /7.

ويحتمل أن يراد بالرتق العدم، وبالفتق الإيجاد. وإطلاق الرؤية على العلم على هذا الاحتمال ظاهر، لأن الرتق والفتق بهذا المعنى محقق أمرهما عندهم، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقمان/25.

ويحتمل أن يراد بالرتق الظلمة، و بالفتق النور، فالموجودات وجدت في ظلمة، ثم أفاض الله عليها النور، بأن أوجد في بعض الأجسام نورا أضاء الموجودات. ويحتمل أن يراد بالرتق اتحاد الموجودات حين كانت مادة واحدة، أو كانت أثيرا أو عماء.

وختم كلامه بعد عرضه لجميع احتمالاته قائلا - رحمه الله - : "والظاهر أن الآية تشمل جميع ما يتحقق فيه معاني الرتق والفتق، إذ لا مانع من اعتبار معنى عام يجمعها جميعا، فتكون الآية قد اشتملت على عبرة تعم كل الناس، وكل عبرة خاصة بأهل النظر والعلم، فتكون من معجزات القرآن العلمية، التي أشرنا إليها في مقدمات هذا التفسير"².

¹التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج17، ص54.
²المرجع نفسه، ج56، 17.

المطلب الثاني: خلق السماوات

إن الله يخبرنا عن عالم من خلقه وهو عالم السماوات و الأرض؛ وهو عالم مادي موجود ولكن أدنى للإنسان أن يكتشفه عياناً وهو لم يصل لما هو أقرب من مجموعته الشمسية، فينبغي التوقف عند ما أخبرنا الله به.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

البقرة/29 ﴿٢٩﴾

قال ابن عاشور: وقد عد الله تعالى في هذه الآية وغيرها السماوات سبعا وهو أعلم بها وبالمراد منها إلا أن الظاهر الذي دلت عليه القواعد العلمية أن المراد من السماوات الأجرام العلوية العظيمة وهي الكواكب السيارة المنتظمة مع الأرض في النظام الشمسي ويدل لذلك أمور:1

أحدها: أن السماوات ذكرت في غالب مواضع القرآن مع ذكر الأرض وذكر خلقها هنا مع ذكر خلق الأرض فدل على أنها عوالم كالعالم الأرضي وهذا ثابت للسيارات. ثانيها: أنها ذكرت مع الأرض من حيث إنها أدلة على بديع صنع الله تعالى فناسب أن يكون تفسيرها تلك الأجرام المشاهدة للناس المعروفة للأمم الدال نظام سيرها وباهر نورها على عظمة خالقها.

ثالثها: أنها وصفت بالسبع وقد كان علماء الهيئة يعرفون السيارات السبع من عهد الكلدان وتعاقب علماء الهيئة من ذلك العهد إلى العهد الذي نزل فيه القرآن فما اختلفوا في أنها سبع.

رابعها: أن هاته السيارات هي الكواكب المنضبط سيرها بنظام مرتبط مع نظام سير الشمس والأرض، ولذلك يعبر عنها علماء الهيئة المتأخرون بالنظام الشمسي فناسب أن تكون هي التي قرن خلقها بخلق الأرض، وبعضهم يفسر السماوات بالأفلاك وهو تفسير لا

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج1، ص358.

يصح لأن الأفلاك هي الطرق التي تسلكها الكواكب السيارة في الفضاء، وهي خطوط فرضية لا ذوات لها في الخارج.¹

وقد وضع ابن عاشور بعد ذلك ما جاء في القرآن و ما يؤيده العلماء، هذا وقد ذكر الله تعالى السماوات سبعا هنا وفي غير آية، وقد ذكر العرش والكرسي بما يدل على أنهما محيطان بالسماوات وجعل السماوات كلها في مقابلة الأرض وذلك يؤيد ما ذهب إليه علماء الهيئة من عد الكواكب السيارة تسعة وهذه أسماؤها على الترتيب في بعدها من الأرض: نبتون، أورانوس، زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، بلكان.

والأرض في اصطلاحهم كوكب سيار، وفي اصطلاح القرآن لم تعد معها لأنها التي منها تنظر الكواكب وعد عوضا عنها القمر وهو من توابع الأرض فعده معها عوض عن عد الأرض تقريبا لأفهام السامعين.

وأما الثوابت فهي عند علماء الهيئة شمس سابعة في شاسع الأبعاد عن الأرض وفي ذلك شكوك، ولعل الله لم يجعلها سماوات ذات نظام كنظام السيارات السبع فلم يعدها في السماوات أو أن الله إنما عد لنا السماوات التي هي مرتبطة بنظام أرضنا.²

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾

البقرة/164

ابن عاشور - رحمه الله - فسّر هذه الآية بأنها: "... وللعبرة أيضا في نفس الهيئة الاجتماعية من تكوين السماوات والأرض والنظام الجامع بينها فكما كل مخلوق منها أو فيها هو آية وعبرة فكذا مجموع خلقها، ولعلّ الآية تشير إلى ما يعبر عنه في علم الهيئة

¹ رفض ابن عاشور تفسير العلماء أن السماوات هي الأفلاك، وتعليقه في هذا الرافض أن السماوات غير الأفلاك؛ فهي الطرق التي تسلكها الكواكب السيارة في الفضاء، وقد وضع أقوالا للعلماء في ذلك التقسيم، ولكن ذلك ليس مما تسعى إليه الآية ولا هو من تفسيرها، انظر: نبيل أحمد صقر، منهج ابن عاشور في تفسيره التحرير و التنوير، (ط:1؛ مصر: الدار المصرية للطباعة و النشر، 1422هـ - 2001م)، ص 230.

² التحرير و التنوير، المرجع السابق، ج1، ص 386.

بالنظام الشمسي وهو النظام المنضبط في أحوال الأرض مع الكواكب السيارة المعبر عنها بالسموات.¹

والسموات جمع سماء والسماء إذا أطلقت مفردة فالمراد بها الجو المرتفع فوقنا الذي يبدو كأنه قبة زرقاء وهو الفضاء العظيم الذي تسبح فيه الكواكب وذلك المراد في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ الملك/ 5.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ الصافات/ 6، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ البقرة/ 22. وإذا جمعت فالمراد بها أجرام عظيمة ذات نظام خاص مثل الأرض وهي السيارات العظيمة المعروفة والتي عرفت من بعد والتي ستعرف: عطارد والزهرة والمريخ والشمس والمشتري وزحل وأورانوس ونبتون. ولعلها هي السموات السبع والعرش العظيم، وهذا السر في جمع (السموات) هنا وإفراد (الأرض) لأن الأرض عالم واحد وأما جمعها في بعض الآيات فهو على معنى طبقاتها أو أقسام سطحها.

والمعنى أن في خلق مجموع السموات مع الأرض آيات، فلذلك أفرد الخلق وجعلت الأرض معطوفا على السموات ليتسلط المضاف عليهما.

والآية في هذا الخلق لقوم يعقلون آية عظيمة لمن عرف أسرار هذا النظام وقواعد الجاذبية التي أودعها الله تعالى في سير مجموع هاته السيارات على وجه لا يعثره خلل ولا خرق ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس/ 40.

تعقيب:

وقع رحمه الله في كلام غير علمي من ناحية العلوم الحديثة ليته لم يقم نفسه فيه، كيف نفهم إذن أحاديث المعراج المتواترة، وكيف نفهم أحاديث قبض الأرواح والأحاديث التي تتحدث عن خلق السموات؟ وماذا يقول مفسرنا لو عاش إلى يومنا هذا واكتشف أن هذه الأجرام ما هي إلا مجموعة من المجموعات الشمسية في مجرة رأس التبانة التي هي واحدة من ملايين المجرات التي تسيح في هذا الكون ؟

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج2، ص77.

² المرجع نفسه، ص 78.

الدكتور مرهف عبد الجبار يعيب على من يفسر السموات بالكواكب و المجرات والنجوم و يعتبرون ذلك من الإعجاز العلمي و يستدلون بكلام الفلكيين الغربيين على صحة قولهم، فيقولون: (فقد أثبت العلم أن الشمس و القمر و النجم و المذنبات و النيازك والشهب و السدم و المجرات؛ إنما هي سماوات فوق سماوات تألف منها عوالم الكون)، ويرى هذا أنه من غرائب التفسير، و نرى نحن أن ابن عاشور - رحمه الله - سلك مسلكهم في تفسيره هذه الآية، وكثير غيرها منها تفسيره للآية الكريمة: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَنذِرْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۚ ثُمَّ انْزِعِ الْبَصَرَ كَرَيْنًا يَنقُلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ الملك 4/3 حيث قال: (.. والسماوات تكرر ذكرها في القرآن، والظاهر أن المراد بها الكواكب التي هي مجموع النظام الشمسي ما عدا الأرض، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ﴾ البقرة/29؛ فإنها هي المشاهدة بأعين المخاطبين، فلا استدلال بها استدلال بالمحسوس.¹

و ايضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ۚ﴾ الرعد/2

(والسماوات تقدمت مراراً، وهي الكواكب السيارة وطبقات الجو التي تسبح فيها).² يقول مرهف عبد الجبار: " وهذا مخالف لنصوص الشرع و العقل"، ودعم رأيه بكلام الشيخ عبد الله سراج الدين - رحمه الله - 3: (فلا يجوز تأويل سبع سماوات طباقاً إلى معنى آخر، فإن القرآن أنزل بلسان عربي مبين، و كيف يسوغ تأويل طبقة السماوات السبع إلى معنى آخر و قد جاء في أحاديث المعراج الوارد في الجوامع و السنن والمسانيد أن ﷺ لما عرج به إلى السماوات استفتح له جبريل عليه السلام أبواب السماوات سماء بعد سماء، وصعد بها سماء فوق سماء، فهي طباق قطعاً، ومن هنا يعلم الإنسان علم اليقين الجازم الذي

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج2، ص78.

² المرجع نفسه، ج 13، ص 80.

³ عبد الله بن محمد سراج الدين الحسني، المحدث الحافظ المفسر الفقيه، له مؤلفات عديدة في التفسير و غيرهما، توفي رحمه الله 1422 هـ - 2002 م، (انظر: د.نور الدين عتر، صفحات من حياة الإمام شيخ الإسلام عبد الله سراج الدين الحسني، ط:1؛ ل.م: دار الرؤية، 2002 م). بواسطة: مرهف عبد الجبار سقا، التفسير و الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 275.

لا يدخله الشك قطعاً أن تأويل السماوات السبع بالكواكب السيارات السبع هذا افتراء صريح على الله تعالى و على رسوله ﷺ، وهو كلام باطل مردود...¹

ثم يضيف على كلام الشيخ عبد الله سراج الدين قائلاً: (ثم إن علماء الفلك ما يزالون يكتشفون الكواكب السيارة و الأجرام و المجموعات في هذا الكون الفسيح فكيف يحصر هؤلاء عدد الكواكب و المجموعات بسبع، و يتكلفون في إسقاطها بجرأة على كلام الله وقد بين الله تعالى أن ثمة كواكب؛ لكنه سبحانه وصف هذه الكواكب بأنها زينة للسماء الدنيا كما

قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾ الملك/ 6 .²

¹ عبد الله سراج الدين، هدي القرآن الكريم الى معرفة العوالم و التفكير في الأكوان (ط:1؛ حلب: دار الفلاح، 1991م)، ص85.

² مرهف عبد الجبار سقا، التفسير و الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 374-376. بالتصرف

المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في خلق الكائنات الحية عند الطاهر بن

عاشور

المطلب الأول: خلق الإنسان

تحدث ابن عاشور كثيراً في تفسيره عن الإعجاز حول قضية خلق الإنسان و **مراحل** تطوره في القرآن الكريم، منها تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ المؤمنين/14.

قال: و حرف (ثم) في قوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً﴾. للترتيب الرتبي إذ كان خلق النطفة علقه، أعجب من خلق النطفة إذ قد صُير الماء السائل دماً جامداً، فتغير بالكثافة وتبدل اللون من عوامل أودعها الله في الرحم.

ومن إعجاز القرآن العلمي تسمية هذا الكائن باسم العلقه، فإنه وضِعَ بديع لهذا الاسم إذ قد ثبت في علم التشريح؛ أن هذا الجزء الذي استحالت إليه النطفة، هو كائن له قوة امتصاص القوة من دم الأم، بسبب التصاقه بعروق في الرحم تدفع إليه قوة الدم، والعلقه: قطعة من دم عاقد¹.

و المضغة: القطعة الصغيرة من اللحم، مقدار اللقمة التي تمضغ. وقد تقدم في أول سورة الحج كيفية تخلق الجنين؛ حيث قال في تفسيرها: (..وكون الإنسان مخلوقاً من النطفة، لأنه قد تقرر في علم الطب؛ أن في رحم المرأة مدة الحيض جزءاً هو مقر الأجرام التي أعدت لأن يتكون منها الجنين، وهذا الجزء من الرحم يسمى في الاصطلاح الطبي (المبيض) - بفتح الميم وكسر الموحدة على وزن اسم المكان- لأنه مقر بيضات دقيقة، هي حبيبات دقيقة جداً، و هي من المرأة بمنزلة البيضة من الدجاجة، أو بمنزلة حبوب بيض الحوت، مودعة في كرة دقيقة كالغلاف لها، تشتمل على سائل تسبح فيه البيضة، فإذا حاضت المرأة ازدادت كمية ذلك السائل الذي تسبح فيه البيضة، فأوجب ذلك انفجار غلاف الحويصلة، فيأخذ ذلك السائل في الانحدار، يحمل البيضة السابحة فيه إلى قناة دقيقة تسمى (بوق فلوبيوس) لشبهه بالبوق، وأضيف إلى (فلوبيوس) اسم مكتشفه، وهو البرزخ بين

¹ التحرير و التنوير، المرجع السابق، ج 18، ص 23.

المبيض والرحم، فإذا نزل فيه ماء الرجل وهو النطفة بعد انتهاء سيلان دم الحيض، لقحت فيه البويضة، واختلطت أجزاؤها بأجزاء النطفة المشتعلة على جرثومات ذات حياة، وتمكث مع البويضة متحركة مقدار سبعة أيام، تكون البويضة في أثناءها تتطور بالشكل بشبه تقسيم من أثر ضغط طبيعي. وفي نهاية تلك المدة تصل البويضة إلى الرحم، وهناك تأخذ في التشكل، وبعد أربعين يوماً تصير البويضة علقة في حجم نملة كبيرة، طولها من 12 إلى 14 ملليمتر، ثم يزداد تشكلها فتصير قطعة صغيرة من لحم، هي المسماة (مضغة) طولها ثلاثة سنتيمتر تلوح فيها تشكلات الوجه والأنف، خفية جداً كالخطوط، ثم يزداد التشكل يوماً فيوماً، إلى أن يستكمل الجنين مدته فيندفع للخروج وهو الولادة.

فقوله تعالى: مخلقة وغير مخلقة صفة مضغة. وذلك تطور من تطورات المضغة. أشار إلى أطوار تشكل تلك المضغة فإنها في أول أمرها تكون غير مخلقة، أي غير ظاهر فيها شكل الخلقة، ثم تكون مخلقة، والمراد تشكيل الوجه ثم الأطراف، ولذلك لم يذكر مثل هذين الوصفين عند ذكر النطفة والعلق، إذ ليس لهما مثل هذين الوصفين بخلاف المضغة¹.

و كذلك تطرق ابن عاشور - رحمه الله - في الكلام عن خلق الإنسان في مواضع عديدة ولكن لم يطنب القول فيها:

منها تفسيره لقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْهَا نَجْيًا أَرْسَلَ مِنْهَا مَرْسِلًا مَحْفُوظًا﴾

بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَى تُصْرَفُونَ ﴿٦١﴾ الزمر / 06.

وقوله: ﴿خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾؛ أي طوراً من الخلق بعد طور آخر يخالفه وهذه الأطوار عشرة ثم أخذ يذكرها طوراً طوراً إلى أن قال: "...و (الظلمات الثلاث): ظلمة بطن الأم، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وهي غشاء من جلد يخلق مع الجنين محيطاً به ليقيه، وليكون به استقلاله مما ينجر إليه من الأغذية في دورته الدموية الخاصة به دون أمه. وفي ذكر هذه الظلمات تنبيه على إحاطة علم الله تعالى بالأشياء، ونفوذ قدرته إليها في أشد ما تكون فيه من الخفاء².

¹ التحرير و التنوير، ج17، ص 199. و أنظر كذلك ما يتعلق بقوله تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ العلق / 2، ج30، ص438.

² التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج23، ص334.

و نكر ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوْنُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلَيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ غافر/67. أنه قد تقدم الكلام على أطوار خلق الإنسان في سورة الحج، وتقدم الكلام على بعضه في سورة فاطر. أوجز عند تفسير هذه الآية 1.

تعليق:

لغويًا تعني (المضة) المادّالتي لاكتها الأسنان و مضغتها، وهي تعطي وصفاً دقيقاً، لواقع هذه المرحلة الجنينية، حيث يصبح شكل الجنين مثل المادة الممضوغة، التي يتغير شكلها باستمرار، و حيث تظهر فلقات الكتل البدنية في الجنين، و اخلاقتها يشبه شكل (طبع الأسنان) على اللقمة، كذلك يدور الجنين و يتقلب في جوف الرحم، كتقلب القطعة الممضوغة في الفم.

يأتي طور المضة بعد طور العلقه، و هذا الترتيب يطابق ما ورد في الآية الكريمة: ﴿فَخَلَقْنَا أَلْفَاقَةً مُّضْغَةً﴾ المؤمنون /14. من صفات المضة أنها تستطيل و يتغير شكلها عند مضغها و هذا ما يحصل تماماً للجنين في هذه المرحلة.

و كما ذكرنا فاللمضة طور باكر قبل تشكل و تخلق الأعضاء، و طور آخر بعد بدء تشكل الأعضاء كما في سورة الحج إذاً هناك طورين للمضة: المضة غير المخلقة و المضة المخلقة، و ينتهي هذا الطور بشقيه في الأسبوع السادس أي (بعد 40 يوماً)، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله قال: حدثنا ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح و يؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه و أجله و عمله و شقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل الكتاب بعمل أهل النار

¹ للمزيد: التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج24، ص198.

فيدخلها، و إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها¹.

ولفتة أخرى أيضا و هي أن بعض الأعضاء تتخلق قبل غيرها، (فالعينان و اللسان)... (الأسبوع الرابع) تتخلق قبل الشفتين (الأسبوع الخامس) و البيان القرآني يقدم العينين و اللسان قبل الشفتين : ﴿ أَلَمْ جَعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ (٩) ﴾ البلد 9/8

فمن قال لمحمد ﷺ عن كل هذه الحقائق؟ هل كان عنده أجهزة تشريح و قياسات و مايكروسكوبات ليخبرنا عن أوصاف جنين لا يتجاوز طوله (1 سم)؟ إنه الله الواحد القهار².

المطلب الثاني: ألبان الأنعام

إن كل ما خلق الله سبحانه و تعالى يحتاج إلى تأمل و تفكر، فما من شيء خلقه الله سبحانه و تعالى إلا فيه إعجاز، و قد تستوجب مدًا التوقف. لأهمية الأنعام ذكرها الله سبحانه في كتابه العزيز، اثنين و ثلاثين مرة تعددت دلالتها و معانيها و بيانها، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ۚ (٦٦) ﴾ النحل/66. فهذه الآية الكريمة تخص ما يسقينا الله مما في بطونها وهو اللبن، الذي يخرج من ضروعها بقدرة الله سبحانه و بإعجاز يفوق التصور، فإذا كان العلم اليوم كشف الطريقة الإعجازية في إخراج اللبن من بطون تلك الأنعام، فإن النظر وحده في هذه المعجزة يوم نزل القرآن و نزلت الآية يكفي دليلاً قطعياً على وحدانية الله وقدرته في الخلق³.

يقول ابن عاشور في تفسيره للآية: "... هذه حجة أخرى، و منة من المنن الناشئة عن منافع خلق الأنعام، أدمج في منتها العبرة بما في دلالتها على بديع صنع الله، و مناسبة ذكر هذه النعمة هنا أن بألبان الأنعام حياة الإنسان كما تحيا الأرض بماء السماء، وأن لآثار ماء السماء أثرا في تكوين ألبان الحيوان بالمرعى.

¹ أخرجه الشيخان : البخاري، فيض الباري على صحيح البخاري محمد أنور شاه، تحقيق: محمد بدر، ج 4 (ط:1)، بيروت - لبنان : دار الكتب العلمية، 1426 هـ - 2005م) كتاب بدء الخلق، باب : ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، ص308.

² يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة، ص105-106.

³ محمد سعيد رمضان البوطي و آخرون، الموسوعة الكونية الكبرى -آيات الله في خلق الحيوانات البرية و البحرية و بعثها و حسابها، ج11، (ط:1؛ بيروت: المكتبة العصرية، 2007م -1429هـ)، ص123.

واختصت هذه العبرة بما تنبه إليه من بديع الصنع والحكمة في خلق الألبان بقوله:

﴿يَمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا﴾. ثم بالتذكير بما في ذلك من النعمة على الناس إدماجا

للعبرة بالمنة... فوجه العبرة في ذلك أن ما تحتويه بطون الأنعام من العلف والمرعى ينقلب بالهضم في المعدة، ثم الكبد، ثم غدد الضرع، مائعا يسقى وهو مفرز من بين إفراز فرث¹ ودم... ومعنى كون اللبن من بين الفرث والدم، أنه إفراز حاصل في حين إفراز الدم وإفراز الفرث. وعلاقته بالفرث أن الدم الذي ينحدر في عروق الضرع يمر بجوار الفضلات البولية والثفلية، فتفرزه غدد الضرع لبنا كما تفرزه غدد الكليتين بولا بدون معالجة زائدة، وكما تفرز تكاميش الأمعاء ثفلا بدون معالجة بخلاف إفراز غدد المثانة للمني لتوقفه على معالجة ينحدر بها الدم إليها.

وليس المراد أن اللبن يجمع من بين طبقتي فرث ودم، وإنما الذي أوهم ذلك من توهمه حمله بين على حقيقتها من ظرف المكان، وإنما هي تستعمل كثيرا في المكان المجازي فيراد بها الوسط بين مرتبتين كقولهم: الشجاعة صفة بين التهور والجبين. فمن بلاغة القرآن هذا التعبير القريب للأفهام لكل طبقة من الناس بحسب مبالغ علمهم، مع كونه موافقا للحقيقة...

وفي الأخير يقول ابن عاشور: وقد أحاط بالأوصاف التي ذكرناها للبن قوله تعالى:

﴿وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّرِبِ﴾؛ فخلوصه نزاهته مما اشتمل عليه البول والثفل، وسوغه للشاربين

سلامته مما يشتمل عليه الدم من المضار لمن شربه، فلذلك لا يسيغه الشارب ويتجهمه. وهذا

الوصف العجيب من معجزات القرآن العلمية، إذ هو وصف لم يكن لأحد من العرب

يومئذ أن يعرف دقائق تكوينه، ولا أن يأتي على وصفه بما لو وصف به العالم الطبيعي لم

يصفه بأوجز من هذا وأجمع².

¹ الفرث هو ما في الكرش. وقيل: هو السرجين مادام في الكرش، أنظر تاج العروس، ج5، ص321.

² التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج14، ص202. وانظر التفسير و الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مرهف عبد الجبار، مرجع سابق، ص567-594، وانظر موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة، يوسف الحاج أحمد، مرجع سابق، ص122، وانظر: محمد سعيد رمضان البوطي و آخرون، الموسوعة الكونية الكبرى -آيات الله في خلق الحيوانات البرية و البحرية و بعثها و حسابها، مرجع سابق، ص123-125.

المبحث الثالث: الإعجاز العلمي في آيات البحار و الجبال عند ابن عاشور

المطلب الأول: خلق البحار و الأنهار

القرآن الكريم يشير إلى بعض نماذج بديع صنع الله في الكون، حتى يشهد ذلك الله سبحانه وتعالى بطلاقة القدرة وبإتقان الخلق وبديع الصنعة، فكل الآيات الكونية القرآنية تأتي في مقام الاستدلال على قدرة الله تعالى، و أنه هو بادع الكون وقادر على إفنائه وقادر على إعادة خلقه من جديد، ومن هذه الإشارات، الإشارة إلى البحار في قوله تعالى: ﴿مَجَّ

الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) الرحمن / 19-20

حيث يقول في تفسيره لهذه الآية : "...والبحر: الماء الغامر جزءا عظيما من الأرض يطلق على المالح والعذب، والمراد تثنية نوعي البحر وهما البحر الملح والبحر العذب. كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ فاطر/12. والتعريف تعريف العهد

الجنسي، فالمقصود ما يعرفه العرب من هذين النوعين، وهما نهر الفرات وبحر العجم المسمى اليوم بالخليج العربي. والتقاؤهما عند انصباب ماء الفرات في الخليج العربي. في شاطئ البصرة، والبلاد التي على الشاطئ العربي من الخليج العربي تعرف عند العرب ببلاد البحرين لذلك.

والمراد بالبرزخ الذي بينهما: الفاصل بين المائين الحلو والملح، بحيث لا يغير أحد البحرين طعم الآخر بجواره. وذلك بما في كل ماء منهما من خصائص تدفع عنه اختلاط الآخر به. وهذا من مسائل الثقل النوعي. وذكر البرزخ تشبيهه بليغ، أي بينهما مثل البرزخ وهو معنى لا يبغيان، أي لا يبغي أحدهما على الآخر، أي لا يغلب عليه فيفسد طعمه فاستعير لهذه الغلبة لفظ البغي الذي حقيقته الاعتداء والتظلم¹.

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج27، ص 248-249.

تعليق:

إن القرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة وهي آية من الآيات؛ لأن الماء أعظم مذيب على سطح الأرض، يلتقي مع بعضه، ولكن لا يختلط اختلاطاً كاملاً؛ عند إمكانية التصوير من الفضاء لمياه البحار عن طريق الأقمار الصناعية، وجدوا أن الماء في البحر الواحد مختلف، بقعا متجاورة مع بعضها ذات مساحات كبيرة من الماء ولكنها لا تختلط ولا تمتزج امتزاجاً كاملاً أبداً. و وصلوا بأن الماء به كم من الأملاح تتأين، والتأين هو تفكك الجزيئات إلى مكوناتها، أي إلى ذراتها الحاملة للشحنات إما موجبة أو سالبة، تقف الشحنات هذه على حواف قدر من الماء للتنافر مع شحنات متشابهة من الماء المجاور، وتجعل من هذا الحاجز الذي لا يرى، مانعاً حقيقياً يحول دون اختلاط الماء أو امتزاجه امتزاجاً كاملاً، وتجعل البيئة مغلقة على ما فيها من أنماط الحياة وما يترسب بها من رسوبيات¹.

المطلب الثاني: خلق الجبال

ثَبَّتَ اللهُ الأرضَ بجبالٍ كما يثبت الودَّ الخيمةَ بالأرض، التي تحت الخيمة و هكذا وجدوا جذرا تحت كل جبل. و كانت دهشة الباحثين و الدارسين عظيمة وهم يكتشفون أن هذا كله قد سُجِّلَ في كتاب الله من قبل فقال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ وَانْهَرَا وَسُبُلًا لَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل/ 15.

وقد تطرق ابن عاشور كذلك عند تفسيره لهذه الآية فقال: "...انتقال إلى الاستدلال والامتنان بما على سطح الأرض من المخلوقات العظيمة التي في وجودها لطف بالإنسان. وهذه المخلوقات لما كانت مجعولة كالتكملة للأرض، وموضوعة على ظاهر سطحها عبر عن خلقها و وضعها بالإلقاء الذي هو رمي شيء على الأرض. ولعلَّ خلقها كان متأخرا عن خلق الأرض، إذ لعلَّ الجبال انبثقت باضطرابات أرضية كالزلازل العظيم ثم حدثت الأنهار بتهاطل الأمطار. وأما السبل والعلامات فتأخر وجودها ظاهر، فصار خلق هذه الأربعة شبيها بإلقاء شيء في شيء بعد تمامه. ولعلَّ أصل تكوين الجبال كان من شظايا رمت بها الكواكب فصادفت سطح الأرض، كما أن الأمطار تهطلت فكونت الأنهار فيكون

¹ محمود عارف محمد و آخرون، ندوة علمية بعنوان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، (www.investintech.com) ، مايو 2004.

تشبيه حصول هذين بالإلقاء بينا ... ولعل الله جعل نتوء الجبال على سطح الأرض معدلا لكرويتها بحيث لا تكون بحد من الملاسة يخفف حركتها في الفضاء تخفيفا يوجب شدة اضطرابها...¹.

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج14، ص122.

المبحث الرابع: الإعجاز العلمي في الظواهر الجوية و الحوادث الكونية

عند ابن عاشور

المطلب الأول: الضغط الجوي

كلما ارتفع الإنسان في السماء انخفض الضغط الجوي و قلت كمية الأوكسجين، مما يتسبب في حدوث ضيق في الصدر و صعوبة في التنفس، وهذا ما تشير إليه بكل وضوح الآية الكريمة:

﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ۖ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ

كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ الأنعام/ 125

ولكن ابن عاشور لم يوفق في تفسيره لهذه الآية حيث... قال: "... فإن الصاعد يضيق تنفسه في الصعود، وهذا تمثيل هيئة معقولة بهيئة متخيلة، لأن الصعود في السماء غير واقع.

والسماء يجوز أن يكون بمعناه المتعارف، ويجوز أن يكون السماء أطلق على الجو الذي يعلو الأرض. قال أبو علي الفارسي: «لا يكون السماء المظلة للأرض، ولكن كما قال سيبويه: القيدود الطويل في غير سماء- أي في غير ارتفاع صعدا-» أراد أبو علي الاستظهار بكلام سيبويه على أن اسم السماء يقال للفضاء الذهاب في ارتفاع (وليست عبارة سيبويه تفسيراً للآية).

وحرف "في" يجوز أن يكون بمعنى (إلى)، ويجوز أن يكون بمعنى الظرفية: إما بمعنى كأنه بلغ السماء وأخذ يصعد في منازلها، فتكون هيئة تخيلية، وإما على تأويل السماء بمعنى الجو¹.

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج8، ص 60.

تعقيب:

لم يصب ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية على أن السماء بمعنى الجو؛ والسماء في العلوم الكونية تشمل كل ما علاك فأضلك بدءاً من نطق الغلاف الغازي للأرض و إنتهاءً بالحدود المدركة للكون، ثم إننا محاطون بالجو من كل النواحي ولكن لا يضيق صدرنا ولا ينطبق علينا الوصف كما في هذه الآية.

يقول زغلول النجار: " إذا تجاوز الإنسان ارتفاع الثمانية كيلومترات فوق مستوى سطح البحر فإنه يتعرض لمشكلات عديدة منها صعوبة التنفس لنقص الأوكسجين و تناقص ضغط الهواء، وهو مرض يسميه المتخصصون في طب الطيران باسم مرض عوز الأوكسجين، و منها مشكلات انخفاض الضغط الجوي و الذي يسمى باسم خلل الضغط الجوي.¹

وتحت هذين العارضين لا يستطيع جسم الإنسان القيام بوظائفه الحيوية، فتبدأ في التوقف الوظيفة تلو الأخرى، وهنا يمكن تفسير ضيق الصدر الذي يمر به الإنسان عند الصعود إلى تلك المرتفعات بغير استعدادات وقائية كافية، فتتأثر رؤية الشخص، و يختل توازنه، و يصاب بصداع شديد، ثم إغماء كامل أو صدمة عصبية أو بشلل جزئي أو كلي و زرقة في الجسم تنتهي بالوفاة بسبب توقف كل من القلب و الرئتين و انهيار العصبي، و فشل كامل في وظائف بقية أعضاء الجسم ولعل ذلك هو المقصود بقول الحق: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ

أَنْ يَهْدِيَهُ يُمْسِكْ سَعْدَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ سَعْدَهُ صَبَقًا حَرًّا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ

عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ الأنعام/ 125.

¹ زغلول النجار: زغلول راغب محمد النجار ولد 1933م بالقاهرة. تخرج من قسم الجيولوجيا 1951م. عضو هيئة الاخوان المسلمين. و عضو في هيئة العالمية الاعجاز العلمي في القرآن و السنة. (انظر: الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين)

² زغلول النجار، موسوعة الاعجاز في القرآن الكريم، بعض دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم 2006/03/11، (www.damasqate.com).

المطلب الثاني: الليل و النهار

إن الفضاء الكوني مظلم بطبيعته رغم وجود الشمس و النجوم فيه، وقد ذهب الباحثون السابقون إلى مناقشة هذا الأمر و محاولة بيان الإعجاز في الآيات الكريمة التي توضح ظلمة الفضاء الكوني و الفرق بين الضياء و النور ومن ذلك آية تعاقب الليل و النهار قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ أَلَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ٥٥ ﴾ الزمر/05.

يقول ابن عاشور¹: والتكوير حقيقة: اللف واللي، يقال: كور العمامة على رأسه إذا لواها ولفها، ومثلت به هنا هيئة غشيان الليل على النهار في جزء من سطح الأرض وعكس ذلك على التعاقب بهيئة كور العمامة، إذ تغشى اللية اللية التي قبلها. وهو تمثيل بديع قابل للتجزئة بأن تشبه الأرض بالرأس، ويشبه تعاور الليل والنهار عليها بلف طيات العمامة، ومما يزيده إبداعا إثارة مادة التكوير الذي هو معجزة علمية من معجزات القرآن المشار إليها في المقدمة الرابعة والموضحة في المقدمة العاشرة؛ فإن مادة التكوير جائية من اسم الكرة، وهي الجسم المستدير من جميع جهاته على التساوي، والأرض كروية الشكل في الواقع وذلك كان يجهله العرب وجمهور البشر يومئذ فأوماً القرآن إليه بوصف العرضين اللذين يعتريان الأرض على التعاقب وهما النور والظلمة، أو الليل والنهار، إذ جعل تعاورهما تكويرا لأن عرض الكرة يكون كرويا تبعا لذاتها، فلما كان سياق هذه الآية للاستدلال على الإلهية الحق بإنشاء السماوات والأرض اختيار للاستدلال على ما يتبع ذلك الإنشاء من خلق العرضين العظيمين للأرض مادة التكوير دون غيرها من نحو الغشيان الذي عبر به في قوله تعالى: ﴿ يُعْشَى أَلَيْلَ النَّهَارِ ﴾ في سورة الأعراف/54؛ لأن تلك الآية مسوقة للدلالة على سعة التصرف في المخلوقات لأن أولها: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ الأعراف/54. فكان تصوير ذلك بإغشاء الليل و النهار، خاصة لأنه دلَّ على قوة التمكن من تغييره أعراض مخلوقاته، ولذلك اقتصر على تغيير أعظم عرض

¹ التحرير و التنوير، مرجع سابق، ج23، ص329.

وهو النور بتسليط الظلمة عليه، لتكون هاته الآية لمن يأتي من المسلمين الذين يطلعون على علم الهيئة فتكون معجزة عندهم.

وهكذا اقتصر الشيخ على الإشارات العلمية في القرآن دون الإغراق في تفريعاتها أو الاسترسال مع دقائق النظريات العلمية حتى لا يضيع حسن تأثيرها. وقد أثبت الشيخ أنواع الإعجاز و ناقش قضاياها و استدلل على من أنكره فاستقصى الأصول، و ألم بالتعريفات في القديم و الحديث¹.

¹ بلقاسم الغالي، من أعلام الزيتونة الامام الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته و آثاره، مرجع سابق، ص84.

خلاصة الفصل الثالث

- لم يصب ابن عاشور في تفسير خلق السماوات و الأرض بحيث ردها الى الكواكب السائرة و الأجرام السماوية، فانتقد على ذلك.
- تحدث ابن عاشور عن خلق الإنسان بإسهاب بحيث عرض مراحل تطوره بإسهاب بصورة واضحة بيّنة توافق ما جاء به الطب الحديث.
- بيّن ابن عاشور وجه الإعجاز في البحار و الجبال و ذكر تفسيراً علمياً وافياً ملماً بالموضوع.
- لم يوفق ابن عاشور في تفسير الآية 125 من سورة الأنعام، فجاء العلم الحديث بما ينافي كلامه.

مَجْمَعُ
عِلْمِ
عَرَبِيَّةِ
لُغَةِ

الخاتمة

الحمد لله حمدا يليق بعلمه و كرمه سبحانه، و الصلاة و السلام على سيد الخلق نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

فإننا نحمد الله تعالى على تمام النعمة و إتمام البحث. و نسال الله تعالى أن نكون قد ساهمنا في الإعجاز العلمي و موقف ابن عاشور منه. توصلنا من خلاله إلى نتائج أهمها:

- 1- يعتبر ابن عاشور الإعجاز العلمي وجها من وجوه إعجاز القرآن.
- 2- مصطلح الإعجاز العلمي عند ابن عاشور يشمل الإعجاز التاريخي و الإعجاز العلمي عند المعاصرين و موافقة العقل الحق.
- 3- الإعجاز العلمي عند ابن عاشور يشمل النظريات و الإشارات العلمية التجريبية.
- 4- التفسير العلمي أعم من الإعجاز العلمي فالأول يتناول النظريات و الإشارات الضمنية، و الثاني يتعلق بالتوفيق الحقائق الشرعية مع الحقائق الكونية.
- 5- يرى ابن عاشور أن الإعجاز العلمي على ضربين: ضرب للناس عامة و ضرب للأهل الكتاب خاصة.
- 6- يعد ابن عاشور من المثبتين المعتدلين للتفسير العلمي، فقد جعل له شروطا و ضوابط.

و في نهاية هذا البحث نوصي بـ :

- 1- العناية بالقرآن الكريم و علومه و منها الإعجاز. و الذي يتفرع عنه الإعجاز العلمي، و زيادة التأليف في هذا الباب.
- 2- ضرورة الاهتمام بمؤلفات ابن عاشور و إفرادها بالدراسة النظرية و التطبيقية.
- 3- إلفات النظر إلى الموضوعات المعاصرة و أقوال العلماء حولها كإعجاز العلمي و الذي يعتبر وسيلة هامة من وسائل الدعوة.

و في الأخير لا نقول أننا أعطينا البحث حقه، و استوفينا الغرض، و لا ندعي الكمال فيما أتينا به، و لا الصواب في كل ما جرى به قلمنا، و خطته يميننا، و إنما هي خطوة أولى من خطوات مشروع قرآني طويل.

هذا و ما كان فيه من صواب فمن الله وحده، و ما كان من خطأ أو وهم ذلك مما لا نبرأ منها أنفسنا فهو من لوازم النقص البشري، و إنما لنستغفر الله و نتوب إليه.

و الله المستعان و عليه التكلان، و صلى الله على نبينا الكريم، و صحبه الغر الميامين، و سلم تسليماً مزيداً و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فما ربي إلا قاتل
لما سر سرياً حاة ما سر

لما سر سرياً حاة ما سر

فهرس الآيات القرآنية

الآية القرآنية	السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة			
﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	البقرة	22	65
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	البقرة	29	64-63
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾	البقرة	164	64 - 59
سورة النساء			
﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ﴾ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾	النساء	166	39
سورة الأنعام			
﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	الأنعام	67	40
﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	الأنعام	125	77 - 76
سورة الأعراف			
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾	الأعراف	54	78

سورة هود			
62	7	هود	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾
54 - 43 - 40	49	هود	﴿ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾
سورة يوسف			
45	21	يوسف	﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ ﴾
45	43	يوسف	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَى تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾
سورة الرعد			
66	2	الرعد	﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾
سورة النحل			
74	15	النحل	﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾
71	66	النحل	﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُزَكِّيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَاخًا لِصَاسٍ أَوْ لَشَّرِينَ ﴾
47	152	النحل	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾
سورة الأنبياء			
44	22	الأنبياء	﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾
61	30	الأنبياء	﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقَّاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾
سورة الحج			

47	68	الحج	﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٦٨
سورة المؤمنون			
46	14-12	المؤمنون	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ ١٢ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ ١٣ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظًا فَكَسَوْنَا الْعِظَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ١٤
70- 68	14	المؤمنون	﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾
سورة النمل			
59	88	النمل	﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾
سورة العنكبوت			
41	48	العنكبوت	﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾
24	51-50	العنكبوت	﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ٥٠ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥١
سورة لقمان			
62	25	لقمان	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
سورة سبأ			

47	24	سبأ	﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾
سورة فاطر			
61	09	فاطر	﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْنُشُورُ ﴿٩﴾﴾
73	12	فاطر	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾
سورة يس			
65	40	يس	﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
سورة الصافات			
65	6	الصافات	﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾
سورة الزمر			
78	05	الزمر	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥﴾﴾
69	06	الزمر	﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْتَعَمٍ ثَمَنِيَّةً ۖ أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَآَنِي تُصِرُّونَ ﴿٦﴾﴾
44	9	الزمر	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
سورة غافر			
70	67	غافر	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ

			يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنَوِّقُ مِّن قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾
سورة الطور			
31	24	الطور	﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾
سورة الرحمن			
73	20-19	الرحمن	﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾
سورة الملك			
66	4-3	الملك	﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾
67	6	الملك	﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾
سورة البلد			
71	9-8	البلد	﴿ أَلَمْ نجعل لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾
سورة العلق			
59	1	العلق	﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾
69	2	العلق	﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾

فَهْرَسْتِ (الْحَمْدُ لِلَّهِ
مَا سَرَّ شَيْئًا حَالًا عَاجِلًا أَوْ مُؤَخَّرًا

(النَّبِيُّ) حَالًا أَوْ مُؤَخَّرًا

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث
27	لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد..
42	ما من الأنبياء نبي إلا أوتي -أو أعطي- من الآيات ...
70	إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ...

فنا ہر شیء (اللہ جل جلالہ)
نااسر سزا

(اللہ جل جلالہ)
نااسر سزا

فهرس الأعلام المترجم لهم

الإسم	رقم الصفحة
ابن رشد	43
ابن سعيد الاشموني	4
أبي بكر بن العربي	44
الأمين الخولي	48
الباقلاني	27
الجاحظ	31
الجرجاني	28
الرازي	43
السيوطي	49
الشاطبي	43
إمام الجويني	30
ابن حزم	30
عبد المجيد الزنداني	36
عبد الله بن محمد سراج	66
الغزالي	43
القاضي عياض	27
كيفمور	41
محمد البشير الابراهيمي	9
محمد الحبيب ابن خوجة	10
محمد الخضر حسين	10
محمد العزيز بوعتور	3
عبد الفتاح الخالدي	31
الطنطاوي جوهري	53
زغلول النجار	77

قائمة المصادر و المراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : الكتب

1. ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل و النحل، تحقيق: عبد الرحمن عمير، لا.ط؛ بيروت: دار الجيل، د.ت.
2. ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل و النحل، تحقيق: عبد الرحمن عمير، لا.ط؛ بيروت: دار الجيل، د.ت.
3. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج 4 ، ط:1؛ بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ.
4. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج4، ط:لا؛ لا.م، دار الفكر، 1399هـ-1979م.
5. ابن منظور، لسان العرب. (ط:1؛ بيروت: دار صادر، د.ت).
6. ابي اسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج2، ط:لا؛ لا.م، دار بن عفان، د.ت.
7. اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنفين، لا.ط؛ اسطنبول، وكالة المعارف، 1951.
8. الباقلاني محمد، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، لا.ط: مصر، دار المعارف، لا.ت.
9. البخاري، صحيح البخاري، ط:1؛ بيروت: دار ابن حزم؛ 1424هـ - 2003م.
10. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، ج2، ط:3؛ القاهرة، دار التراث، 1984م.
11. بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور -حياته و آثاره-، ط:1؛ بيروت- لبنان: دار ابن حزم، 1417هـ-1996م.
12. الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط:لا؛ القاهرة: مكتبة الخانجي، 1384هـ/1964م.
13. جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، ج4، ط:لا؛ المملكة العربية السعودية، لان، د.ت.
14. حامد الغزالي، احياء علوم الدين، ج، ط:لا؛ بيروت، دار المعرفة، د.ت.
15. حامد الغزالي، جواهر القرآن، ط:2؛ بيروت، دار احياء علوم الدين، 1406هـ-1986م.
16. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، ط:15؛ بيروت: دار العلم للملايين، 2006م.

17. الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط:5؛ بيروت: المكتبة العصرية، 1420هـ / 1999م.
18. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي؛ ط:1، دمشق: دار القلم، 1412 هـ.
19. سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح المقاصد، لا.ط؛ الهند: مطبعة محرم أفندي، 1917.
20. سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح المقاصد، لا.ط؛ الهند: مطبعة محرم أفندي، 1917.
21. سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح المقاصد، لا.ط؛ الهند: مطبعة محرم أفندي، 1917.
22. سيد قطب ، ضلال القرآن، ج3، ط:11؛ بيروت: دار الشروق، 1405هـ - 1985م.
23. ضعيف سنن الترمذي. محمد ناصر الدين الألباني، ط:1؛ بيروت: المكتب الاسلامي، 1411هـ - 1991م.
24. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج18، ط:1؛ لا.م، مؤسسة الرسالة 1420هـ - 2000م.
25. طبقات المفسرين العشرين، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، (ط:1، القاهرة، مكتبة وهبة، 1396هـ).
26. الطنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج1، لا.ط؛ مصر، مطبعة مصطفى بابي الحلبي و أولاده، 1403هـ.
27. عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لا.ط؛ لا.م: دار الكتب العلمية، لا.ت.
28. عبد الكريم علي عبده الفهدي، الإعجاز العلمي و الدعوة الى الله، لا.ط؛ اليمن، 1432هـ-2012م.
29. عبد الله المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن و السنة تاريخه و ضوابطه، ط:2؛ لا.م: دار عمار، 1429هـ/2006م.
30. عبد الله المصلح، إنه الحق، ط:4؛ لا.م، لا.ن، 1427هـ - 2006 م .
31. عبد الله سراج الدين، هدي القرآن الكريم الى معرفة العوالم و التفكير في الأكوان، ط:1؛ حلب: دار الفلاح، 1991م.
32. عضد الدين الإيجي، المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط:1؛ بيروت: دار الجيل، 1997م.
33. عقد مرتضى الحسيني الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، لا.ط: الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1965م.
34. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، لا.ط؛ لا.م: مؤسسة الرسالة، لا.ت.
35. فيض الباري على صحيح البخاري .محمد أنور شاه، تحقيق: محمد بدر، ج4 ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1426هـ - 2005م.

36. القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: علي محمد البنجاوي، ج1، ط: لا؛ بيروت: دار الكتاب العربي، 1404 هـ - 1984 م
37. محمد الحبيب ابن خوجة، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، ط: 1؛ تونس: الدار العربية للكتاب، 2008 م.
38. محمد الحبيب بن خوجة، سلسلة الذاكرة الحية، شيخ الاسلام الاكبر محمد الطاهر بن عاشور، لا.ط؛ تونس: الدار العربية للكتاب، 2008.
39. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ج1، (لا.ط؛ تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 هـ).
40. محمد بن ابراهيم الحمد، التقريب لتفسير التحرير و التنوير
41. محمد بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد احمد حب الله، هاشم محمد الشاذلي، ج5، ط: لا، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
42. محمد سعيد رمضان البوطي و آخرون، الموسوعة الكونية الكبرى -آيات الله في خلق الحيوانات البرية و البحرية و بعثها و حسابها، ج11، ط: 1؛ بيروت: المكتبة العصرية، 1429 هـ - 2007 م.
43. محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين؛ ج3، ط: 2، لا.م: دار الغرب الإسلامي، 1994 م.
44. مرهف عبد الجبار، التفسير و العجاز العلمي في القرآن الكريم، ج1، ط: 1؛ سوريا: دار محمد الأمين، 1431 هـ - 2010 م.
45. مساعد بن سليمان الطيار، الإعجاز العلمي الى أين، ط: 2؛ المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، 1433 هـ.
46. مسلم، صحيح مسلم، ط: 1؛ السعودية: دار طيبة للنشر و التوزيع، 1427 هـ - 2006 م
47. مشرف بن أحمد الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير و التنوير، ط: 1؛ بيروت: مؤسسة الريان، 1430 هـ - 2009 م.
48. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، لا.ط؛ بيروت: المكتبة العصرية، 1426 هـ - 2005 م.
49. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط: لا؛ القاهرة: مكتبة وهبة، د.ت.
50. مناع القطان، البيان في إعجاز القرآن، ط: 7؛ القاهرة، مكتبة وهبة، 2000 م.
51. منيع بن عبد الحليم محمود، مناهج المفسرين. ج1، ط: 1؛ مصر: دار الكتاب، 1421 هـ - 2000 م.
52. نبيل أحمد صقر، منهج ابن عاشور في تفسيره التحرير و التنوير، ط: 1؛ مصر: الدار المصرية للطباعة و النشر، 1422 هـ - 2001 م.
53. النجم الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق: خليل المنصور، ج1، ط: 1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1418 هـ ت 1997 م.
54. نعيم الحمصي، فكرة اعجاز القرآن، ط: 2؛ بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980 م.
55. نور الدين عتر، صفحات من حياة الإمام شيخ الإسلام عبد الله سراج الدين

- الحسني، ط:1؛ لا.م: دار الرؤية ، 2002م
56. هند شلبي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين النظريات و التطبيق، ط:لا؛ تونس، لا.ن، 1985م.
57. يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهرة، ط:2؛ دمشق: مكتبة ابن حجر، 1424هـ-2003م.

ثانياً : المقالات و البحوث و الرسائل الجامعية

1. بن عيسى بطاهر، قضايا الإعجاز البياني في تفسير التحرير والتنوير، مجلة التجديد، السنة السادسة، العدد الحادي عشر.
2. جامع الزيتونة حصن للتنوير والتحرير، من الأهرام العربي، مجلة المجاهد، تصدر عن المكتب الإعلامي المركزي لحركة الجهاد الإسلامي، غزة، م12، العدد104، 2000م.
3. جمال محمود ابو حسان، "الامام محمد الطاهر بن عاشور- سيرة و مواقف- ، المجلة الأردنية في الدراسات الاسلامية، الأردن، لا.ن، العدد:2/أ، 1430 هـ-2009م.
4. علم الدين السخاوي و موقفه من الإعجاز العلمي، عرض و مناقشة، المجلة العالمية لبحوث القرآن.
5. علي الرضا الحسيني، مقالات الامام: محمد الطاهر ابن عاشور، ط:1؛ لا.م، الدار الحسينية للكتاب، د.ت.
6. غانم قدوري الحمد، علم الدين السخاوي و موقفه من الإعجاز العلمي، عرض و مناقشة، المجلة العالمية لبحوث القرآن.
7. غريسي محمد الصالح، مقدمات التحرير و التنوير للعلامة محمد الطاهر بن عاشور-دراسة تحليلية نقدية- (مذكرة ماجستير، في تخصص التفسير و علوم القرآن)، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1428هـ - 1429هـ/2007م-2008م.
8. محمد الصالح المستاوي، القيمة العلمية لتفسير الإمام العلامة محمد الطاهر بن عاشور، مجلة البلاغ، العدد: 740، 1984م.
9. محمد بن حسين بن سعيد العمري، منهج ابن عاشور في أصول الاعتقاد دراسة و تقويماً، (رسالة ماجستير أصول الاعتقاد)، -مخطوط- جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض.
10. محمد بن سعد القرني، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، منهجه في تفسير القراءات من خلال تفسيره التحرير و التنوير، (رسالة ماجستير قسم الكتاب و السنة)، كلية الدعوة و أصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1427هـ.

ثالثاً : المراجع الإلكترونية و البرمجيات

1. زغلول النجار، موسوعة الاعجاز في القرآن الكريم، بعض دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم www.damasgate.com، 11/03/2006.
2. عبد المجيد الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي (http://www.jameataleman.org)، لا.ت .
3. محمود عارف محمد و آخرون، ندوة علمية بعنوان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، www.investintech.com، مايو 2004.
4. الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة افحوان المسلمين. <http://www.ikhwanwiki.com> ، لا.ت.

فنا در این
بهر راسخ
ناما سر سنا

المواظبون
على الصلوة
والنوافل
والحج
والزكاة
والصيام
والاعتقاد
بالحق

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
	ملخص
	الإهداء
	شكر و عرفان
أ	مقدمة
	الفصل التمهيدي التعريف بالطاهر بن عاشور و كتابه التحرير والتنوير
2	مدخل
3	المبحث الأول: ترجمة ابن عاشور
3	المطلب الأول: حياته الشخصية
3	الفرع الأول: ابن عاشور نسبه و مولده
4	الفرع الثاني: أسرته
5	الفرع الثالث: عقيدته و مذهبه الفقهي
5	الفرع الرابع: وفاته
6	المطلب الثاني: حياته العلمية
6	الفرع الأول: حياته العلمية و وظائفه
8	الفرع الثاني: تلاميذه و شيوخه
9	الفرع الثالث: مكانته العلمية و ثناء العلماء عليه
11	الفرع الرابع: مؤلفاته المطبوعة و المخطوطة
15	المبحث الثاني: التعريف بالتحرير و التنوير
15	المطلب الأول: وصف الكتاب
15	الفرع الأول: اسم الكتاب
16	الفرع الثاني: مناسبة التأليف
17	الفرع الثالث: مدة التأليف
18	المطلب الثاني: القيمة العلمية

20	خلاصة الفصل التمهيدي
	الفصل الأول: نظرية الإعجاز عند ابن عاشور
22	مدخل
23	المبحث الأول: تعريف إعجاز القرآن
27	المبحث الثاني: وجوه الإعجاز عند ابن عاشور
30	المبحث الثالث: موقف ابن عاشور من الصرفة
31	المبحث الرابع: القدر المعجز
33	خلاصة الفصل
	الفصل الثاني
	الإعجاز العلمي هدفه و موقف ابن عاشور منه
35	مدخل
36	المبحث الأول: مفهوم الإعجاز العلمي و ضوابطه
36	المطلب الأول: مفهوم الإعجاز العلمي
37	المطلب الثاني: ضوابط الإعجاز العلمي
39	المبحث الثاني: الهدف من دراسة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم
42	المبحث الثالث: موقف ابن عاشور من الإعجاز العلمي
44	المطلب الأول: طرق الإعجاز العلمي عند ابن عاشور
45	المطلب الثاني: مصطلح الإعجاز عند ابن عاشور
48	المبحث الرابع: التفسير العلمي و موقف ابن عاشور منه
48	المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي
48	الفرع الأول: تعريف التفسير
50	المطلب الثاني: شروط التفسير العلمي و ضوابطه
51	المطلب الثالث: الفرق بين الإعجاز العلمي و التفسير العلمي
52	المطلب الرابع: موقف ابن عاشور من التفسير العلمي
52	الفرع الأول: المثبتون للتفسير العلمي مطلقا
54	الفرع الثاني: المعارضون مطلقا

54	الفرع الثالث: المثبتون المعتدلون
57	خلاصة الفصل
	الفصل الثالث: الإعجاز العلمي في الآيات الكونية عند الطاهر بن عاشور
59	مدخل
61	المبحث الأول: الإعجاز في خلق السماوات و الأرض
61	المطلب الأول: أصل خلق السماوات و الأرض (الرق و الفتق)
63	المطلب الثاني: خلق السماوات
68	المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في خلق الكائنات الحية عند الطاهر بن عاشور
68	المطلب الأول: خلق الإنسان
71	المطلب الثاني: ألبان الأنعام
75	المبحث الثالث: الإعجاز العلمي في آيات البحار و الجبال عند ابن عاشور
75	المطلب الأول: خلق البحار و الأنهار
74	المطلب الثاني: خلق الجبال
76	المبحث الرابع: الإعجاز العلمي في الظواهر الجوية و الحوادث الكونية عند ابن عاشور
76	المطلب الأول: الضغط الجوي
78	المطلب الثاني: الليل و النهار
80	خلاصة الفصل الثالث
82	خاتمة
85	فهرس الآيات القرآنية
91	فهرس الأحاديث النبوية
93	فهرس الأعلام المترجم لهم
95	قائمة المصادر و المراجع
101	فهرس الموضوعات

إنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان
أحسن ، ولو نريد لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا
لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص
على جملة البشر .

عماد الدين الأصفهاني